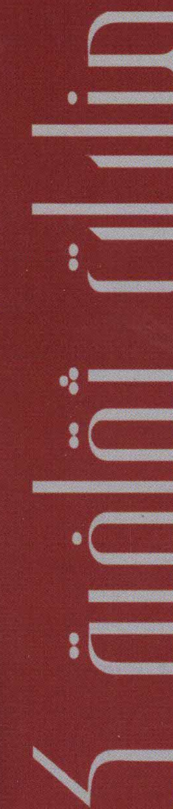






منارة
عبد الله الحاتم

و



منارة
زيد الحرب

نسخة مجانية توزع
مع العدد ٣٨٥ من سلسلة عالم المعرفة فبراير ٢٠١٢

دولة الكويت
2012


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

عبدالله خالد الحاتم

محاضرة:

أ. خالد سالم محمد

تعقيب:

أ. عبدالله خلف

عبدالله خالد الحاتم

محاضرة:

خالد سالم محمد

عبدالله خالد حاتم

خالد سالم محمد(*)

• نبذة تاريخية

عُرفت الكويت بأنها منبع للثقافة، ومورد عذب للمعرفة والعلم من خلال ما تقدم من أعمال أدبية وثقافية شهريا وفصليا، بالإضافة إلى إقامتها أسابيع ثقافية ومعارض ومنتديات أدبية وفكرية مختلفة.

فالكويت منذ نشأتها في مطلع القرن السابع عشر، ظهر فيها علماء أجلاء تركوا الكثير من المصنفات الدينية والأدبية والملاحية. فأقدم مخطوط عثر عليه إلى الآن في الكويت، وبالتحديد في جزيرة فيلكا، هو «موطأ الإمام مالك»، وقد نسخه أحد علماء الدين في الجزيرة ويدعى: مسيعيد بن أحمد بن مساعد، وذلك في العام ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م.

وهناك إحدى المخطوطات للشيخ عثمان بن سند، وهو من أشهر علماءالقرن التاسع عشر، ولد في جزيرة فيلكا العام ١٧٦٦م، ونسخت هذه المخطوطة في الغالب في جزيرة فيلكا من قبل أحد العلماء فيها، ويدعى راشد بن عبداللطيف بن عيسى، واسمها: «النظم العثماوية» (فقه مالكي)، وتاريخ نسخها يرجع إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

(*) ولد في جزيرة فيلكا في العام ١٩٤٠، عمل في دائرة المطبوعات والنشر العام ١٩٦٠ (الإعلام حاليا)، ثم انتقل بعدها في العام ١٩٦٢ إلى وزارة المواصلات، صدر له ١٥ مؤلفا أولها في العام ١٩٨٠ عن جزيرة فيلكا، عضو رابطة الأدباء وله العديد من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات الكويتية.

فالكويت كانت ولا تزال قبلة العلماء، وملتقى رجال الفكر والسياسة. فأقدم من زارها كان السيد مرتضى بن علوان، وذلك في العام ١٧٠٩م، قادما من الأراضي المقدسة في طريقه إلى النجف. وقال عنها: إنها بلدة تشابه الحسا، إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها تشابهها. وأضاف: إن هذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر حنطة وغيرها، لأن أرضها لا تقبل الزراعة، كما ذكر أن أسعارها أرخص من الحسا.

وهناك نص آخر يؤكد كلام ابن علوان، يعود تاريخ هذا النص إلى العام ١٧٤١م، وقد ذكره صاحب كتاب: «عقد الآل في تاريخ أوال»، الشيخ محمد علي التاجر، قال: إن الكويت كانت ترتع في رياض الدعة والأمان والعشيرة، نمت واعتزت، واحترفت الحرف الكثيرة من برية وبحرية، وأكثرها استخراج اللؤلؤ.

كما وصفها المؤرخ العراقي عبدالرحمن السويدي، الذي زارها العام ١٧٧٨م، بالكرم والعفة والتدين، وذكر أن فيها أربعة عشر جامعا ومسجدين، وكلها في وقت الصلوات الخمس تمتلئ بالمصلين.

وأضاف: أقمت فيها شهرا لم أسأل فيه عن بيع وشراء ونحوهما، بل أسأل عن صيام وصلاة وصدقة، وكذلك نساؤها ذوات تدين في الغاية. قرأت فيها الحديث في ستة جوامع، نقرأ في الجامع يومين أو ثلاثة، فيضيق من كثرة المصلين، فيلتمسون مني الانتقال إلى أكبر، وهكذا حتى استقر الدرس في جامع ابن بحر، وهو جامع كبير على البحر.

وكذلك عندما زارها الشيخ محمد رشيد رضا صاحب «مجلة المنار» العام ١٩١٢، كان وصفه لها كوصف السويدي، الذي زارها قبله بحوالي مائة وأربعة وثلاثين عاما، حيث قال: أقمت في الكويت أسبوعا كنت كل يوم - ما عدا يوم البريد - ألقي فيه خطابا وعظيا في أكبر مساجد البلد، فيكتظ بالناس.

وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم، يسألون عما يشكل عليهم من أمور دينهم.

أما عن هجرة بعض أبناء الكويت لطلب العلم، فتعود إلى مطلع القرن الثامن عشر، حيث سافر أحد أبنائها ويدعى: عيسى بن علوي إلى مصر لتلقي العلوم الدينية في الجامع الأزهر، واستقر هناك وكون له عائلة، وتوفي في مصر العام ١٨٦٣.

أما الشخص الثاني، الذي اغترب طلبا للعلم، فهو الشيخ أحمد بن محمد الفارسي، وهو من رجال الدين المعروفين في الكويت، سافر إلى مصر في العام ١٨٦٤ للدراسة في الجامع الأزهر.

والشخص الثالث هو الشيخ مساعد العازمي، الذي وصل إلى مصر في العام ١٨٨٠، ودرس في الجامع الأزهر أيضا، وحاز شهادة منه، كما تعلم التلقيح ضد مرض الجدري.

أعود للحديث عن صاحب هذه المنارة الأستاذ عبدالله خالد الحاتم، أحد أبرز أعلام الكويت في الخمسينيات، فهو رجل صحافة وتاريخ وأنساب، وراوية للشعر الشعبي.

ففي مجال الصحافة: أصدر أول مجلة فكاهية في الكويت والخليج العربي، أطلق عليها اسم «الفكاهة»، وتميزت هذه المجلة من بين الصحف والمجلات الكويتية الكثيرة التي صدرت في الخمسينيات من القرن الماضي بنكهة خاصة، وجرأة في طرح القضايا بصورة مرحة تقبلها المجتمع بصدر رحب، لذلك لم تقتصر موضوعاتها على النكتة والطرافة، بل تناولت قضايا اجتماعية وفكرية جادة في أكثر أعدادها، واتخذت لها عنوانا ضاحكا.

كما اعتمدت على الرسم الكاريكاتيري في طرح الموضوع، واستعانت بالشعر والحكمة والأقوال المأثورة أحيانا، لتوصيل الفكرة

إلى القارئ. فكانت تحاكي في وقتها أشهر المجلات الفكاهية التي صدرت في أنحاء الوطن العربي مطلع القرن العشرين، بل جاوزت بعضها في كثير من الأحيان في تنوع الموضوع والرقي بالأسلوب، حيث اتخذت لها نهجا مميزا من خلال مزج الخبر بالنكتة، ومزج الفصحى بالعامية، فكان ذلك دأبها في سرد الوقائع والأحداث المحلية والعربية والعالمية.

ولهذه المجلة فضل كبير في حفظ الكثير من الشعر الشعبي، وبروز بعض الشعراء الشعبيين وغيرهم. كما كانت تواكب الأحداث، وتشارك في طرح القضايا الساخنة على مستوى الوطن العربي.

وقد وجد فيها بعض الكتاب متنفسا على صفحاتها لطرح قضايا المجتمع بصورة فكاهية مرحة. كما استقطبت أقلام بعض الشباب، حيث كانت تتجاوب معهم بنشر ما تجود به قرائحهم، فكانوا يجدون على صفحاتها ما يتناسب مع ميولهم وأذواقهم.

ولم يقتصر جهد الأديب الأستاذ عبدالله خالد الحاتم على إصدار هذه المجلة فقط، بل تعداه إلى وضعه لعدة كتب، وأشهرها كتابه: «من هنا بدأت الكويت». ولقد كان لهذا الكتاب ولا يزال صدى كبير لدى القراء، وارتبط باسمه، فعندما يذكر عبدالله الحاتم فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو كتابه هذا، فقد احتوى على مادة غزيرة وقيمة فيما يخص أوائل الأشياء في الكويت، ونهل منه من أتى بعده.

أما جهده الثاني، فقد انصب على جمع الكثير من الأشعار لكبار شعراء الكويت والجزيرة العربية، منذ القرن التاسع الهجري، وحتى منتصف القرن العشرين، جمع هذا الشعر في كتاب من جزأين أطلق عليه: «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، هكذا كتب الاسم. ويعد هذا الكتاب من أشهر مصادر الشعر الشعبي وأغزرها مادة.

كما جمع شعر بعض كبار الشعراء الشعبيين وأصدرها في دواوين مستقلة، بالإضافة إلى إشرافه على ترجمة وطبع كتاب: «كنت أول طبيبة في الكويت»، للدكتورة إليانور كالفري، وهي أول طبيبة أمريكية مارست الطب في الكويت العام ١٩١٢.

هذا هو أديبنا الأستاذ المرحوم عبدالله خالد الحاتم، الذي - للأسف - لم ينل التقدير الذي يستحقه، ولم يكتب عنه إلا النزر اليسير.

ولقد شرفتني رابطة الأدباء في الكويت بوضع كتاب عنه، وصدر الكتاب ضمن سلسلة كتب الرابطة التي أصدرتها بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية العام ٢٠٠١.

وفي الختام، شكرا للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب على تخصيص إحدى المنارات الثقافية لإلقاء الضوء على حياة أديبنا عبدالله الحاتم والتعريف بدوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت.

المحرر

خالد سالم محمد

استهلال

الأديب المرحوم الأستاذ عبدالله خالد الحاتم أحد أعلام الكويت في مجال الصحافة في الخمسينيات من القرن الماضي، ومؤسس أول مجلة فكاهية في منطقة الخليج العربي، بالإضافة إلى كونه من أبرز رواة الشعر الشعبي ورجاله، فقد حفظ لنا أسماء شعراء نبط عاشوا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين في الجزيرة العربية، وروى لنا الكثير من أخبارهم وإنتاجهم، فقد أعطى هذا الرجل من وقته وصحته وماله الشيء الكثير لتوصيل رسالته الصحافية ورفع اسم وطنه عاليا.

وعندما غادر وطنه الكويت إلى سوريا عام ١٩٥٤، واستقر هناك نحو ٥ سنوات، عاود إصدار مجلته «الفكاهة»، وحرص كل الحرص على أن تصل إلى قرائها في الكويت في موعدها كل شهر، وحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلا أن تظل محافظة على هويتها وموضوعاتها القريبة من القارئ الكويتي، فكان يتابع كل صفحة، وأحيانا يحرر أكثر من باب، ويرد على رسائل القراء، وينسق الإعلانات التجارية.

وقد أدخل عليها، خلال فترة صدورها وطبعها في دمشق، العديد من الأبواب والموضوعات والتحقيقات الصحافية.

وعلى الرغم من انشغاله في عمله الصحافي المضني، لم ينس البحث والتقصي، فأصدر، منذ مطلع الخمسينيات، العديد من المؤلفات المميزة. ففي مجال الشعر النبطي، أصدر كتابا في جزأين جمع فيه مئات القصائد النبطية لكبار شعراء هذا الفن المحبب في المنطقة، وأورد أسماء شعراء لم يتطرق إليهم أحد غيره، وألحقه بكتاب آخر سماه: «عيون من الشعر النبطي»، في جزأين أيضا، كما

حقق عددا من دواوين كبار شعراء النبط في الخليج والجزيرة العربية وطبعها.

كما كتب المقالة والقصة القصيرة بأسلوب التهكم الممزوج بالمزاح والهزل. وكان البحث عن كل ما هو جديد ونادر من أبرز سماته، حيث قدم للقراء مذكرات أول طبيبة أجنبية حضرت إلى الكويت، وأشرف على ترجمة هذا الكتاب، وكتب له مقدمة وأضاف إليه العديد من الصور المناسبة.

وفي نهاية الخمسينيات، أوقف مجلته لمواجهتها الكثير من العراقيل أهمها الحالة المادية، واختار أن يعمل موظفا في دائرة المطبوعات والنشر (وزارة الإعلام حاليا) التي كانت في بداية تأسيسها، وأشرف على أرشيفها وجمع له الكثير من الوثائق والصور النادرة للمراحل التاريخية التي مرت بها الكويت.

وعندما استقلت الكويت في عام ١٩٦١، طالب الرئيس العراقي آنذاك عبدالكريم قاسم بضمها إلى العراق، وعلى أثر هذا التصرف الغريب، تصدت أقلام كثيرة من رجال الفكر الكويتي وغيرهم لهذه الدعوة الباطلة بالعديد من المقالات والبحوث يدحضون فيها مطالبته الزائفة، وشاركهم أديبنا الحاتم بتأليف كتاب جاوزت صفحاته ٤٠٠ صفحة، وكان القصد منه إثبات أن الكويت مستقلة وذات سيادة منذ نشأتها، وسماه: «من هنا بدأت الكويت».

كما ترك مكتبة نفيسة تضم وثائق وصورا ومطبوعات بعضها نادر، خصوصا فيما يتعلق بتاريخ المنطقة، بالإضافة إلى أعداد كاملة من مجلة الفكاهة، التي بلغت ٩٧ عددا، والعديد من الصحف والمجلات الكويتية القديمة.

ومما يحز في النفس أن هذا الأديب القدير والصحافي الرائد، لم ينل التقدير الذي يستحقه، ولم يكتب عنه إلا النزر اليسير.

وبعد، فشكرا للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي خصص إحدى المنارات الفكرية للتعريف به، وإلقاء الضوء على حياته وآثاره ودوره في الحركة الأدبية والفكرية في الكويت منذ مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، حتى وفاته في عام ١٩٩٥.

الفصل الأول

عبدالله خالد الحاتم

حياته.. ودوره في الحركة الأدبية والفكرية في الكويت

حياته

ولد الأديب عبدالله خالد حمد الحاتم في مدينة الكويت بالحي القبلي منها، وتلقى تعليمه في المدرسة المباركية، وبعد تخرجه منها حرص على تعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة افتتحها رجل من موظفي القنصلية البريطانية يدعى «إسرائيل كدو»، وهو مسيحي من أصل عراقي، وقد تعلم على يديه الكثير من أبناء ذلك الجيل مبادئ اللغة الإنجليزية، واطلعوا على ثقافة الغرب، وكان أديبنا الحاتم من بين هؤلاء.

وبعد إتقانه لهذه اللغة، تطلع إلى المزيد من المعرفة، وكان والده في تلك الفترة يخالط بعض العلماء ويحضر مجالسهم، خاصة العلماء الذين كانوا يأتون من مدينة الزبير القريبة من الكويت، حيث كان معجبا بهم، ويحب لأولاده أن يصبحوا في يوم ما مثل أحدهم، وكان ميسور الحال، فأرسل ابنه عبدالله إلى مدينة الزبير، حيث ألحقه بمدرسة النجاة الإسلامية التي كان يديرها الشيخ محمد أمين الشنقيطي، ولكنه لم يستمر طويلا في هذه المدرسة، حيث توفي الشيخ الشنقيطي بعد سنتين من التحاقه بها، وكان ذلك عام ١٩٣٢، فعاد إلى الكويت.

بعد ذلك أرسله والده إلى الشيخ محمد الجراح - من علماء الكويت - ليدرس على يديه اللغة العربية وقواعدها وآدابها، بالإضافة إلى العلوم الدينية.

وكان الأديب الحاتم طموحا شغوفا بالتزود بمختلف أنواع العلوم والفنون، خاصة الحديثة منها، فأكمل دراسته لدى الأستاذ محمد تقي الدين الهلالي وهو عالم مغربي سكن البصرة في الثلاثينيات، كما درس الموسيقى على يد الأستاذ جاسم العمران، وهو من أهالي البحرين كان يزور الكويت بين فترة وأخرى ويلتقي بالفنانين والملحنين.

وفي مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، أتيحت له فرصة الذهاب إلى منطقة الحفر في المملكة العربية السعودية، حيث استقر هناك لبعض الوقت، ولما كان لديه معرفة ببعض العلوم الإسلامية، طلب إليه أهالي المنطقة أن يتولى الإمامة والخطابة في أحد المساجد فوافق على ذلك، ولكنه لم يستمر طويلا هناك، وعاد إلى بلده الكويت في منتصف الثلاثينيات.

وكان خلال هذه الفترة منكبا على القراءة ومطالعة مختلف أنواع الكتب، فلا يكاد يسمع عن كتاب حتى يحرص على اقتنائه، وكان مصدره في التزود بالكتب مكتبة الحاج محمد أحمد رويح التي افتتحت عام ١٩٢٢، وهي أول مكتبة لبيع الصحف والكتب في الكويت.

وفي بداية الأربعينيات من القرن الماضي، أصبح يراسل بعض الصحف والمجلات ويزودها ببعض إنتاجه بين الحين والحين، مثل مجلة «الثغر» ومجلة «الشبان المسلمون» في مدينة البصرة.

مسيرته العملية

نظرا إلى حبه الشديد للقراءة واقتناء الكتب، افتتح، بعد عودته إلى الكويت من منطقة الحفر بالمملكة العربية السعودية مكتبة لبيع مختلف أنواع الكتب والمجلات، وكان موقعها في السوق الداخلي، شارع الأمير، حيث مقر المكتبات في ذلك الوقت. واستمر في عمله هذا نحو سبع سنوات توافر له خلالها أن يطلع على الكثير من المؤلفات في مختلف العلوم، وخصوصا في المجال الذي يحبه ويستهويه، وهو التاريخ والتراث الشعبي.

ونظرا إلى عدم الإقبال الشديد على اقتناء الكتب في تلك الأيام، لم يستطع الاعتماد كليا في معيشته على إيراد المكتبة الذي لا يكاد يغطي متطلبات المعيشة، خاصة بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، وما صاحبها من غلاء وندرة في توافر المواد الغذائية والاستهلاكية وغيرها، لذا قرر في عام ١٩٤٦ أن يختار عملا في مجال آخر، ولو على حساب رغباته وميوله، فالتحق بالعمل في محل يملكه والده لبيع قطع غيار السيارات. ونظرا إلى عدم خبرته في هذا المجال، لم يوفق في الاستمرار فيه طويلا، وبعد إغلاق المحل، اتجه هذه المرة إلى الصحافة، حيث إنها المجال القريب من هوايته ومن خلالها يستطيع التقرب إلى الناس والإطلالة من جديد على نوافذ المعرفة، فتقدم في عام ١٩٥٠ إلى دائرة المعارف حينذاك وإلى رئيسها سعادة الشيخ عبدالله الجابر الصباح بطلب ترخيص لمجلة فكاهية اجتماعية اختار لها اسم «الفكاهة»، ووافقت دائرة المعارف على طلبه، وصدرت المجلة في أكتوبر من العام نفسه.

وصدر منها تسعة أعداد، كان يطبعها في المطبعة الأهلية في الكويت، ويوزعها بنفسه، ولكن واجهته مع مرور الوقت مصاعب مالية جعلته يوقف إصدارها في فبراير عام ١٩٥١.

سفره إلى سورية

وفي عام ١٩٥٤ سافر إلى سورية، واستقر هناك نحو ٥ سنوات، حيث كون له عائلة، وكان يحضر إلى الكويت كل ٦ أشهر تقريبا.

وفي سورية، عاود إصدار مجلته من جديد بعد توقف جاوز الثلاث سنوات. واستمر في إصدارها، وكان يرسلها لتوزع في مدينة الكويت. وظلت المجلة منتظمة في صدورها حتى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٨، حيث توقفت نهائيا بعد أن صدر منها ٩٧ عددا كما تقدم.

عمله في الحكومة

في مطلع عام ١٩٥٩، رغب في الالتحاق بإحدى الوظائف الحكومية التي تناسبه، ولما كانت «دائرة المطبوعات والنشر» (وزارة الإعلام حاليا) في بداية إنشائها، قدم طلبا للانضمام إليها، وقبل طلبه، حيث عين مسؤولا عن قسم الأرشيف والصور، وساهم خلال عمله هذا في تنسيق هذا القسم وتنظيمه وإثرائه بعدد كبير من الصور التاريخية لمراحل تطور مدينة الكويت.

وظل مشرفا على هذا القسم إلى أن طلب إحالته على التقاعد في عام ١٩٨٠.

وقبل وفاته بنحو ١٥ سنة ترك الحياة الأدبية ومحافلها، وآثر أن يستريح بعد حياة قدم خلالها الكثير من العطاء المثمر في خدمة وطنه الكويت.

ولكن على الرغم من احتجابه عن الحياة الأدبية ومحافلها، فإنه ظل يدون بعض الأبحاث التاريخية والنصوص الأدبية، ويتابع الجديد منها، خصوصا ما يتعلق بما كتب وطبع من قبل. وفي مقابلة له مع مجلة «اليقظة» ذكر بعضا منها، فقال: عندي كتاب تحت الطبع لم أختر اسمه بعد، وإن كان امتدادا لكتابي «من هنا بدأت الكويت»، وسيضم هذا الكتاب العديد من القصص الواقعية والوثائق التاريخية المدعمة بالصور.

وهناك كتاب آخر تحت الطبع جمعت فيه نخبة من شعر محمد بن لعبون الذي اعتبره أمير شعراء النبط.

مساهماته في الحركة الأدبية والثقافية

جمع الأديب الأستاذ عبدالله خالد الحاتم بين التاريخ والأدب والصحافة، وبخاصة الأدب الشعبي والشعر النبطي والاهتمام بمشاهير رجاله، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بالأنساب والقبائل.

ففي هذا المجال، يقول عنه الدكتور خليفة الوقيان: «هو مصدر موثوق في ما يخص تاريخ المنطقة وتراثها وبخاصة الشعر النبطي، فضلا عن كونه أحد أعلام الصحافة».

وفعلا هو في مجال الصحافة من الرواد الذين ساهموا في العمل الصحافي، فقد أصدر في عام ١٩٥٠ مجلة «الفكاهة» وهي أول مجلة نصف شهرية متخصصة تشهدها الكويت ومنطقة الخليج العربي.

يقول عنه الدكتور محمد حسن عبدالله: «إن عبدالله الحاتم من خلال «الفكاهة» يمكن أن يأخذ مكانه إلى جانب عبدالله النديم، والشيخ الشريتلي والبابلي وإمام العبد وعبدالعزيز البشري وحسن توفيق المصري».

أما في مجال الأدب الشعبي والشعر النبطي، فأصدر كتابا بعنوان: «خيار ما يلتقط من الشعر النبطي» - هكذا كتب العنوان - جمع فيه الكثير من عيون الشعر النبطي، وترجم لأكثر من سبعين شاعرا من مختلف العصور ابتداء من القرن التاسع الهجري.

كما أشرف على طباعة بعض دواوين كبار الشعراء الشعبيين القدماء أمثال: محمد العبدالله القاضي، محمد العبدالله العوني، عبدالله بن حمود السبيل، وشرح غريب مفرداتهم، بالإضافة إلى اختياره مجموعة كبيرة من الأشعار النبطية، ووضعها في كتاب من قسمين أطلق عليه اسم: «عيون من الشعر النبطي».

وفي التاريخ، وضع كتابا عن تاريخ الكويت وأوائل الأحداث والوقائع والمناسبات التي شهدتها الكويت منذ نشأتها حتى عهد الاستقلال، وهو كتاب قيم معزز بالصور والوثائق بعضها لا يوجد في كتاب سواه، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٢، وهو كتاب «من هنا بدأت الكويت».

وأشرف على ترجمة وطباعة كتاب «كنت أول طبيبة في الكويت»، الذي وضعته الدكتورة «اليانور كالفري» التي حضرت إلى الكويت في يناير عام ١٩١٢، بصفتها أول طبيبة مارست مهنة الطب في الكويت، وكتب له مقدمة، وأضاف إليه صورا نادرة تسجل بدايات الطب في الكويت.

هذا فضلا عن مساهمته الكبيرة في الإشراف على تنظيم أرشيف دائرة المطبوعات والنشر وحفظه، عندما التحق بها في بداية إنشائها.

كما كتب الكثير من المقالات الاجتماعية والفكاهية، وعددا من القصص القصيرة التي تعكس حال المجتمع الكويتي في منتصف القرن العشرين، ونشر أغلبها في مجلته «الفكاهة».

ترؤسه لمجلس إدارة رابطة الأدباء

عند تأسيس رابطة الأدباء في الكويت عام ١٩٦٤ سارع بالانضمام إليها، وانتخب عضوا في مجلس إدارتها لمدة ثلاث سنوات، كما انتخب أمينا عاما لها

في عام ١٩٦٦. وكان أحد أعضاء أسرة تحرير مجلة «البيان» التي أصدرتها الرابطة في أبريل من العام نفسه، وشارك في تلك الفترة بنشر عدة مقالات وبحوث عن كبار الشعراء الشعبيين في الكويت والمنطقة.

إشرافه على مجلة البيان

عن إشرافه على تحرير مجلة البيان يقول: صدرت مجلة البيان في أبريل عام ١٩٦٦، وكان يرأس تحريرها الأستاذ عبدالمحسن الرشيد بصفته أمينا للرابطة في ذلك الوقت، وطلب إلي أن أتولى الإشراف عليها وجمع المقالات وإعدادها للنشر، واطلعت على المقالات المقدمة فوجدتها دون المستوى، وطلبت إلى الأدباء في الكويت أن يساهموا في الكتابة للمجلة. كما بدأت أوجه رسائل متعددة إلى الكتّاب خارج الكويت في مصر وسورية والأردن، وفعلا، استجاب عدد كبير جدا منهم وصدرت البيان.

وتسلمت رئاسة تحريرها لستة أعداد فقط، ثم تركتها بعد أن اطمأننت إلى وجود عدد كبير من المقالات، وبعد أن تأكد لي أنها بدأت تثبت أقدامها تركتها وأنا مستريح.

مقالاته في مجلة البيان

خلال إشرافه على مجلة البيان من أبريل عام ١٩٦٦ حتى نوفمبر ١٩٦٦، ساهم في نشر عدد من البحوث تحت اسم: «من أعلام شعراء النبط»، تناول فيها عددا من مشاهير هذا اللون الشعبي، وهم:

١- محمد بن لعبون: أمير شعراء النبط، الحلقة الأولى، مجلة البيان، العدد الأول، أبريل ١٩٦٦.

٢- محمد بن لعبون: الحلقة الثانية، قصة سفره من الزبير، البيان، العدد الثاني مايو ١٩٦٦.

٣- حميدان الشويعر - البيان، العدد الثالث، يونيو ١٩٦٦.

٤- عبدالله الفرج بين الفصحى والعامية، الحلقة الأولى، البيان، العدد الخامس، أغسطس ١٩٦٦.

٥- عبدالله الفرج بين الفصحى والعامية، الحلقة الثانية، البيان، العدد السادس، سبتمبر ١٩٦٦.

٦- شاعر الكويت فهد بورسلي، الحلقة الأولى، البيان، العدد الثامن، نوفمبر ١٩٦٦.

٧- شاعر الكويت فهد بورسلي، الحلقة الثانية، البيان، العدد التاسع، ديسمبر ١٩٦٦.

الفصل الثاني

مجلة الفكاهة في سنتها الأولى

الكويت ١٩٥٠ - ١٩٥١

مجلة الفكاهة

هي أول مجلة فكاهية منوعة نصف شهرية تصدر في الكويت والخليج العربي. صدر العدد الأول منها في ١٢ أكتوبر عام ١٩٥٠، وجاء في صدر العدد: الفكاهة مجلة فكاهية اجتماعية نصف شهرية، صاحبها المسؤول عبدالله الخالد الحاتم، رئيس التحرير فرحان راشد الفرحان، وكانت تطبع في المطبعة الأهلية في الكويت.

صدر منها في الفترة من أكتوبر١٩٥٠ حتى فبراير ١٩٥١ تسعة أعداد، وتوقفت بعد ذلك، ثم سافر صاحبها الأستاذ عبدالله الحاتم إلى سوريا واستقر هناك لعدة سنوات.

عاود إصدارها من هناك للمرة الثانية في عام ١٩٥٤، وكان يرسلها لتوزع في الكويت من قبل مكتبة الطلبة لصاحبها الأستاذ عبدالرحمن الخرجي، ومقرها في شارع الأمير حيث مقر المكتبات في ذلك الوقت.

وظلت مجلة الفكاهة تصدر شبه منتظمة إلى أن توقفت نهائيا في أواخر عام ١٩٥٨.

مسيرتها... تقييمها

عن مسيرة مجلة الفكاهة وتقييمها يقول الدكتور محمد حسن عبدالله: مجلة الفكاهة محاولة جريئة لا شك في ذلك، فقد شهدت مصرع المجلات الجادة واحدة بعد الأخرى، ومع ذلك فقد اتخذت لنفسها نكهة خاصة، وراحت تشق طريقها في جرأة، وكانت تعتمد على النكتة اللفظية والمحاكاة الشعرية الهزلية ورسم الكاريكاتير، وهي تشبه، إلى حد كبير، بعض المجلات العربية التي صدرت في بعض الدول العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل: «النفير» و«البعكوكة».

والطريف أن هذه المجلة ناقشت مشكلات جادة بغير فكاهة، وإن جعلت الفكاهة لها عنوانا.

ويضيف: سألت صاحبها عن دوافعه لإصدار مجلة فكاهية في بيئة توصف آنذاك بأنها متزنة ومحافظة، كما توصف بالاختلاف عن الصحف عموما في تلك الفترة؟ فأجاب: بأن الفكاهة ربما كانت علاجا للجانبين معا.

أما عن مساواتها بين زميلاتها من الصحف الفكاهية التي صدرت في بداية القرن العشرين حتى منتصفه، فيقول الدكتور محمد: إن دراسة الصحافة

الفكاهية على مستوى الوطن العربي كله جديرة بالكشف عن العوامل التاريخية والاجتماعية التي تفرز هذا النوع من الصحف، والتعريف بأصحابها، وجديرة بإبراز جانب مهم من خصائص النفس العربية وبأسلوب استجابتها لأحداث الزمان، وجديرة أخيرا بإنصاف مجلة «الفكاهة» التي ترتقي أسلوبا وفنا عن الكثير مما اطلعنا عليه من صحف هذا اللون.

إن تصنيف مجلة الفكاهة وما فيها من جوانب المزاح وألوان التهكم اللاذع وميل إلى الهزل، وما نشرت من شعر فكاهي، يمكن أن يكشف عن المزاج النفسي للشعب الكويتي وميوله ومدى تذوقه للمرح(١).

رأي بعض الأدباء في المجلة

الأديب فاضل خلف:

حظيت مجلة الفكاهة بترحيب كبير من المواطنين، وأشادوا بها وبصاحبها، وبعد توقفها كتب بعض الأدباء عن الفراغ الذي تركته. فعن مكانتها وأهميتها لدى القراء، يقول الأديب الأستاذ فاضل خلف: «لقد كانت مجلة الفكاهة متنفسا أنقذ أدباءنا من سلة المهملات، وخففت من هموم الأقلام التي راحت تعبر عن نفسها بحرية على صفحاتها ردحا من الزمن»(٢).

الأديب خالد سعود الزيد:

أشاد بمجلة الفكاهة وبصاحبها عبدالله الحاتم الأديب الأستاذ المرحوم خالد سعود الزيد، بقوله: «من منا لا يذكر مجلة الفكاهة أو لا يذكر اسم صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالله الحاتم، لقد جمعت الفكاهة حولها قلوب الناشئة من الشباب وأقلام الأدباء والكتاب، وكانت بداية لبعض شعراء اليوم ومنطلقا لهم، وما من أحد ينسى فضل هذه المجلة عليه قارئا كان أو كاتبا أو مستمعا منصتا، فهي نهج في صحافتنا جديد، وأسلوب في سرد المشاكل فريد، تمزج الخبر بالنكتة فينصب بالقلب ويجري مع الدم في العروق، وكان ذلك شأنها في سبك الحديث عن مشاكل السياسة، ودأبها في سرد حوادث المجتمع والناس»(٣).

الباحث البحراني خالد البسام:

كما تحدث عن مجلة الفكاهة الأستاذ الباحث البحراني خالد البسام، فقال: «في ١٢ أكتوبر ١٩٥٠ فوجئ الكويتيون بصحيفة جديدة تصدر في بلادهم باسم الفكاهة، وبالطبع لم يأخذ الكويتيون المجلة على أنها نكتة أو مزاح، بل عدوا الموضوع جادا، وأن أول صحيفة ساخرة في الكويت والخليج العربي قد صدرت.

وفي صباح ذلك اليوم، قرأ أهل الكويت العدد الأول من مجلة الفكاهة بفرح شديد وبارتياح عظيم، ووجدوا أن صحافتهم المتعثرة آنذاك، لأسباب كثيرة، يمكنها أن تعود من جديد قوية أكثر مما كانت.

ومع الوقت، ازداد تعلق أهل الكويت بخفة دمها وحلاوة أسلوبها الخفيف الذي يخلط بين الفصحى والعامية في كثير من الأحيان، ومع هذا النجاح زادت المجلة من صفحاتها وأصدرت أحيانا أعدادا خاصة، وأدخلت أبوابا جديدة مرحة وضاحكة من الغلاف إلى الغلاف.

ومع أنها صدرت واستمرت نصف شهرية، فإنها مع الوقت لاقت نجاحا كبيرا بسبب خفة دمها وروحها الفكاهية، وانتقاداتها الاجتماعية والسياسية اللاذعة للمجتمع الكويتي أولا، والسياسات الدولية ثانيا، وأنه على الرغم من ذلك، لاقت المجلة الغريبة آنذاك سوء فهم أحيانا ومشكلات تتعلق بهويتها»[٤].

أسباب توقفها

هناك عدة أسباب أدت إلى تعثر مجلة الفكاهة، سواء في مرحلتها الأولى أو الثانية، أهمها الحالة المادية وقلة القراء. يقول صاحبها الأستاذ الحاتم: لقد توقفت مرتين الأولى عند العدد التاسع، ثم عاودت الكرة بإصدارها سنة ١٩٥٤، واستمرت حتى نهاية سنة ١٩٥٨. توقفت في المرتين بسبب المشكلات المادية، حيث لم تترك لنا قلة المادة عزما لنجابه بالمجلة الحياة[٥].

ويتحدث عن بداية صدور مجلته واشتراك دائرة المعارف حينذاك بأعداد منها بقوله: إن الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس المعارف في ذلك الوقت، هو الذي منحها الصدور، واشتركت دائرة المعارف بستين نسخة فقط قيمتها ٦٣٠ روبية.

وكانت المجلة تطبع ألف نسخة من كل عدد، يتلف منها سبعون نسخة في أثناء الإعداد والتوزيع، وكانت تكلفة النسخة خمس آنات، وثمنها للجمهور ٨ آنات، وإذا لم يبع المطبوع كله، فإن المجلة تخسر لا محالة، وهذا ما حدث وأدى إلى توقفها، وقد كانت في حاجة إلى ألفي روبية لتعود، وظلت تبحث عن هذا المبلغ الضخم بمقياس تلك الفترة[٦].

أسباب أخرى

ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى توقفها أيضا: صدور عدة صحف ومجلات قوية، بعضها يصدر أسبوعيا مثل «الشعب» و«الفجر»، وطرحها لقضايا

الوطن العربي الساخنة في تلك الأيام، بالإضافة إلى معالجة هموم المواطن اليومية، وإمكان وصولها إلى القارئ في وقت محدد من الأسبوع لكونها تطبع في مدينة الكويت.

وهناك سبب آخر مهم أيضا أدى إلى قلة إقبال القارئ على مجلة الفكاهة، وهو تخليها شيئا فشيئا عن طابعها الكويتي الأساسي، خصوصا بعد انتقال صاحبها إلى دمشق وتحريرها وطباعتها هناك وتأخرها في الوصول إلى الكويت، ومشاركة بعض الإخوة العرب في تحرير الكثير من موضوعاتها، مما جعل طرح قضايا المواطن الكويتي تختفي بالتدريج، وإقبال المواطن عليها يضعف كثيرا.

استعراض لبعض أعداد المجلة في سنتها الأولى

العدد الأول: صدر بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٥٠

ناقشت مجلة الفكاهة خلال الأعداد التسعة التي صدرت في الكويت العديد من الموضوعات الجادة التي تتعلق بحياة الفرد بشكل عام، ولو أن بعضها غلب عليه أسلوب المرح الذي هو بالتالي طابع المجلة العام.

ففي افتتاحية العدد الأول كتب رئيس التحرير - وهو الأستاذ فرحان راشد الفرحان - مقالا بعنوان: «ابتسم للحياة» تناول فيه أعباء الحياة المختلفة التي يواجهها المرء، وتزاحم الناس للوصول إلى القمة.

ومن الحلول التي طرحها لمعالجة مثل هذه الأمور، الابتسامة والراحة وقضاء أوقات سعيدة بين الأهل والأصحاب في جلسات مليئة بالسعادة والانشراح، ونسيان التعب والهموم ولو لبعض الوقت.

وطرح من خلال المقالة موضوع الصحافة على أن له الأثر واليد الطولى التي لا تنكر في هذا المضمار، فقال: «لذا عزمنا على أن نكون أول من يلج هذا الباب للترفيه عن أبناء هذا الوطن».

وأضاف: إنه لمجهود قد يتصوره القارئ الكريم غاية في البساطة، ولكن، والحق يقال، هو غاية في الخطورة، ويحتاج إلى ثقة ومهارة وإتقان حتى نرضي مشاعر كل شخص ونحقق رغباته.

والموضوع الثاني الرئيسي الذي تضمنه العدد الأول، كان بعنوان «الفكاهة» وُقِّع بقلم «بهلول»، والغالب أنه الأستاذ عبدالله الحاتم صاحب المجلة، تكلم فيه عن فن الفكاهة، وأنه فن مثله مثل الموسيقى والرسم والنحت وسائر الفنون

الأخرى، فالفكاهة، بحسب قوله، تروح عن النفس وتدفعها إلى البهجة والسرور، وتنسيها آلام الحياة ومتاعبها.

وتناول طريقة كل شخص ومهارته في إلقاء النكتة وطرح الموضوعات الفكاهية على السامع، وتأثير ذلك يختلف من شخص إلى آخر بحسب مقدرته وظرفه، وأضاف: إن هناك صحفا كثيرة في العالم متخصصة في الفكاهة بما تطرحه من روايات هزلية وطرائف متنوعة، وإن الكثيرين يجدون ميلا إلى مشاهدة مثل هذه الروايات ويأنسون لسماع تلك الطرائف.

العدد الثاني: صدر في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠

في افتتاحية العدد الثاني، كتب رئيس التحرير مقالا جادا بعنوان «تضحكني الصحافة»، تناول فيه هموم الصحافة والصحافي في تلك الأيام وأهمها عدم إقبال الناس على اقتناء الصحف والمجلات، والاكتفاء فقط بقراءتها في المجالس والدواوين أو استعارتها بعضهم من بعض، وأن نسخة واحدة يتداولها عشرة أشخاص فيما بينهم، ويأبى العشرة إلا أن يشركوا في قراءتها عشرة آخرين.

كما تطرق إلى مشكلات الطباعة وعدم توافر المطابع الكافية لطبع النسخ في موعدها، وأن المجلة لا تكاد تسد مصروفاتها، بالإضافة إلى عدم تشجيع الدوائر الحكومية باقتناء نسخ منها، وتمنى أن تصل الصحافة الكويتية إلى مستوى أخواتها العربيات من حيث الانتشار وكمية التوزيع.

وتضمن العدد الجزء الثاني من مقال «الفكاهة» بقلم «بهلول»، بالإضافة إلى قصيدة شعبية هزلية موقعة بحرف «ع» محاكيا قول صفي الدين الحلي، وهي للشاعر الكويتي عبدالله سنان مطلعها:

سل الدجاج العوالي عن أيادينا

واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

والحقيقة أن هناك ثلاثة كتاب في المجلة كانوا يوقعون بحرف «ع» وهم: صاحب المجلة الأستاذ عبدالله الحاتم، الشاعر عبدالله سنان والشاعر الشعبي عبدالله الدويش.

العدد السابع: ٩ يناير ١٩٥١

صدر هذا العدد بتاريخ ٩ من يناير ١٩٥١ خاليا من اسم رئيس التحرير الأستاذ فرحان راشد الفرحان، وكُتب محله ما يلي:

رئيس التحرير بالإعارة والتأجير عبدالله الخالد الحاتم.

وافتتاحية العدد كانت بعنوان: «أنا وين والفكاهة والصحافة وين» بتوقيع «ع» وهو الأستاذ الحاتم.

ومما قاله: «لم أكن أتصور أن الصحافة مهنة شاقة وصعبة إلى هذا الحد، تتطلب كل الحذر والانتباه، ولم أكن أعتقد من قبل أنها بهذه الصورة من الصعوبة، ظننت أن المسألة لا تتعدى طلب امتياز إصدار مجلة من الحكومة، ثم الاتفاق مع أحد أصحاب المطابع، وبعد ذلك تهيئة طاولة وكراسي وما يلزم من دفاتر وأوراق وأقلام وملفات «فايلات»».

ولم يخف القلق الذي بدأ يحسه بعد أن انسحب رئيس التحرير الذي كان يساعده، وأصبح وحده مسؤولا عن تحرير أبواب المجلة والإشراف على طباعتها وتوزيعها.

ولم يخل العدد من مقال جاد لم يحمل توقيعا، وكان بعنوان «يجب أن نعالج أنفسنا بأنفسنا».

الفصل الثالث

مجلة الفكاهة
في المرحلة الثانية
سورية ١٩٥٤ - ١٩٥٨

الفكاهة في المرحلة الثانية

بعد سلسلة من المعوقات والمتاعب التي لقيها الأستاذ الحاتم وخاصة من الناحية المادية ومتاعب الطباعة والتوزيع، كل هذه الأسباب مجتمعة أعاقته عن الاستمرار في إصدار مجلته. لذا اضطر، في مارس من عام ١٩٥١، إلى أن يوقفها ولو مؤقتا إلى أن يستطيع التغلب على الصعاب التي واجهته.

وبعد فترة من التروي والتأمل، تطلع إلى أن يجرب حظه هذه المرة خارج بلده الكويت، فعزم على المغادرة إلى سورية، واستقر هناك لعدة سنوات.

وبعد أن هدأت به الأحوال، فكر مرة أخرى في إعادة إصدارها من جديد، خاصة أن المجال أصبح أرحب لممارسة العمل الصحافي.

ونظرا إلى خبرته في هذا المجال، وبعد الاستعانة ببعض الأساتذة المقربين لديه، صدرت المجلة بتاريخ ٢٠ من يوليو عام ١٩٥٤، وحمل العدد الجديد الرقم عشرة، وهو تكملة للأعداد التسعة التي صدرت في الكويت. وكانت بشكل الإخراج الذي كانت تصدر به من قبل وحجمه وطريقته.

وقد دُوّن في صدر العدد ما يلي: الفكاهة صحيفة اجتماعية انتقادية هزلية، صادرة من صميم المجتمع وإلى المجتمع.

الفكاهة صحيفة لجميع الطبقات، تُعنى بنشر كل ما يصل إليها من القراء وليست وقفا لأحد من دون الآخرين.

الفكاهة يهمها إدخال السرور إلى القلوب، وخلق جو من المرح والفرح والسعادة وإضحاك الناس.

النهج الذي سارت عليه

ظلت مجلة الفكاهة تسير على النهج الذي كانت عليه لبضعة أعداد، ثم بدأ خطها وموضوعاتها وأبوابها وطابعها العام يطرأ عليها التغيير شيئا فشيئا، وأخذت تعالج بعض الموضوعات السياسية والصحية والفنية، وتطرح مواضيع وأفكارا غير التي كانت تتطرق إليها من قبل مثل:

أخبار الممثلين والمشاهير خاصة الغربيين منهم ومغامراتهم، كما أصبحت بعض أغلفتها تحمل صورا لممثلين ومطربين. وبدأت تظهر فيها لأول مرة أفلام عربية معروفة، واختلفت طريقتها في طرح النكتة واختيارها، فبدأت تظهر النكتة والطرفة الغربية، كما تنوعت الطرائف العربية، واستحدث باب أطلق عليه «من الشعر الفصيح»، تناول مقتطفات وأشعارا وأخبارا من التراث العربي،

وزيد عدد صفحات المجلة، وبدأت الإعلانات التجارية المصورة تظهر بشكل ملحوظ في أغلب صفحاتها.

وأصبحت الافتتاحية وأغلب المقالات والموضوعات لا تحمل تواقيع، ما يعني أن أغلب المواد يحررها ويختارها صاحب المجلة.

وبدأ الطابع الكويتي ينحسر عنها بالتدريج، ولكن هذا لم يمنع من بقاء بعض الأبواب السابقة واستمرارها مثل الافتتاحية التي ظلت تعالج بعض الموضوعات الجادة، وباب الشعر الشعبي، وصفحة من هنا وهناك، وقصة العدد، والطرائف طبعا.

هذا استنتاج من خلال الأعداد التي اطلعت عليها فقط وهي قليلة، وبالتأكيد هناك مواضيع وأبواب في الأعداد الكثيرة التي لم أطلع على معظمها، ولا بد أنها تضمنت الكثير من المواد الصحافية المنوعة.

نماذج لبعض أعداد هذه المرحلة

العدد ٤٩: صدر في ٢٦ من يوليو ١٩٥٦

ذكرنا أن مجلة الفكاهة تتناول بعض الموضوعات السياسية، فافتتاحية هذا العدد حملت عنوان: الاتحاد بين سورية ومصر، يقول كاتبها: «نستطيع أن نقول إن الحدث البارز الذي سجلته الوقائع في الأسابيع الأخيرة، هو القرار التاريخي الذي أصدره مجلس النواب السوري بالاتحاد مع مصر، ونقول: إنه من الأحداث البارزة لأنه الخطوة الأولى في الميدان الذي لا يزال الكثيرون يجاهدون فيه، آملين أن يصلوا إلى هدفهم الأخير ونعني بذلك الوحدة العربية الكاملة».

مقالات منوعة أخرى

وفي هذا العدد مقال بعنوان: «الإباء في الشعر العربي»، وموضوع آخر طريف بعنوان: «ويسألونك عن الساعة» بقلم مارون عبود، وصفحة طرائف منوعة بعنوان: «من الثلاجة»، وموضوع عن الدكتور محجوب وحصان عريته. ومن الجديد الذي طرأ على أبواب المجلة، استحداث صفحات فنية واجتماعية تنشر فيها أخبار من هوليود وغيرها، ففي هذا العدد أربع صفحات تناولت مثل تلك الأخبار.

ونلاحظ في هذا العدد أيضا اختفاء الأقلام الكويتية، حتى رسائل القراء لم يصل إلى المجلة منها إلا رسالتان، وحل محلهما العديد من الرسائل من دمشق،

حلب، عمان، نابلس، الموصل والرياض. وابتداء من هذا العدد، لم يعد يكتب اسم صاحب المجلة أعلى صفحة العدد. كما بدأت المجلة تنشر أسماء وكلاء توزيعها في كل من العراق، سورية، الأردن وإمارات الخليج العربي.

العدد الخمسون: صدر في ٩ أغسطس ١٩٥٦

وتتوالى مواد الأعداد التالية من المجلة على النمط نفسه، وتكاد تتشابه إلا من تغيير بسيط بين عدد وآخر في الصفحات والأبواب، فالعدد الخمسون حملت افتتاحيته عنوان: «علينا أن نقوي أنفسنا بالعلم». وقصة باسم: «ضحية الحب والخجل» وهي قصة غربية واقعية، بالإضافة إلى حادثة أخرى أجنبية بعنوان: «حاولت قتله ثلاث مرات فعفا عنها» وتحقيق عن جزيرة «ليفانت»، وموضوع عن النجمة السينمائية آن ميلر. بالإضافة إلى صفحات الفكاهة وبريد القراء ومن الشعر الشعبي، ومن قصص العرب قصة بعنوان: «العرق دساس»، وقصة العدد بعنوان «حمال ومهندس».

العدد ٦٩: صدر في ١٣ يونيو ١٩٥٧

افتتاحية هذا العدد عنوانها: «كيف تغدو هادئ الطبع»، وموضوع بعنوان: «الرقص يروي تاريخ الشعوب»، وآخر عن كيف يعيش ابن الشمس، وتحقيق عن أغرب الأندية في الولايات المتحدة، وموضوع عن الجريمة، وآخر عن الأصقاع القبطية، بالإضافة إلى قصة العدد وصفحة التسلية، ومن هنا وهناك.

واستحدث في هذا العدد باب أطلق عليه: «قال الراوي» تناول غرائب الأحداث والمكتشفات، ويلاحظ كثرة الموضوعات الغربية في هذا العدد.

أما الغلاف فعليه رسم لثانوية الشويخ، وفي الأعلى صورة لسعادة الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس المعارف في ذلك الوقت.

العدد ٧٢: صدر في ٢٨ من أغسطس ١٩٥٧

حملت افتتاحية هذا العدد «التشاؤم والتفاؤل»، وموضوع صحي بعنوان: «أدق جهاز في جسم الإنسان وهو القلب». وفي العدد صفحة جديدة عنوانها: أحسن ما قيل» وهي مقتطفات من التراث العربي. وكالعادة، لم يخل العدد من صفحة تتحدث عن الجريمة في الغرب، إلى جانب قصيدة شعبية للشاعر العراقي عبود الكرخي، و«ما هب ودب»، وقصة العدد التي كانت بعنوان: «السرير ذو الرقم ١٧»، و«من هنا وهناك»، وصفحة التسلية وهي طرائف منوعة عربية وغربية ومن التراث.

وهناك مقال بعنوان: «الشجاعة» للكاتب فؤاد صروف، وموضوع عن الخجل، بالإضافة إلى الإعلانات التجارية التي لا تكاد تخلو منها صفحة، وكلها من الكويت.

العدد ٨١: في ٢١ أبريل ١٩٥٨

افتتاحية هذا العدد مقال سياسي بعنوان: «من ألاعيب الاستعمار» موقع بقلم: أردني حر. تحدث فيه الكاتب عن وجهة نظره في الوحدة التي تمت بين مصر وسورية، والوحدة التي تمت أيضا في الفترة نفسها تقريبا بين الأردن والعراق.

وفي هذا العدد زاوية للشعر العربي، نشرت فيها مقتطفات من شعر أبي العلاء المعري، وصفحة بعنوان «صور من الأعلام» تناولت أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وموضوع عن أشباح المحيط بقلم: يارهام، وحفل هذا العدد بخمس قصص هي: «الرجل الحدق» و «قريبي الورع» و «خلاص الغريق» و «أسرتي من الحيوانات» و«بطولة كلب»، عدا قصة العدد الثابتة وعنوانها: «عاشقة البنفسج». بالإضافة إلى صفحة: اضحك والتسلية وصفحة جديدة أطلق عليها «عبِر» أغلبها حكم وأمثال، ومدرسة الفكاهة وهي صفحة لغوية.

العدد ٨٦: الصادر في ٢٨ يونيو ١٩٥٨

صدر هذا العدد صباح عيد الأضحى، وحمل في صفحته الأولى تهنئة للشعب الكويتي، ولحاكم البلاد وللشعب العربي في كل دياره.

وكانت افتتاحيته موضوعا سياسيا بعنوان: «متناقضات السياسة الأمريكية». وصفحة أطلق عليها: «عبث الأطفال الشيطاني»، تناولت حادثة بعنوان: النافذة المفتوحة، وقصيدة بعنوان: خرائب بعلبك للشاعر شفيق معلوف، وموضوعا عن آخر أيام موسوليني، وآخر عن الحياة في الولايات المتحدة، ومقالا بعنوان «كيف صارعت الأسود في غابات أفريقيا»، كما تضمن العدد حديثا عن زبائن السينما، وصفحة مغامرات بعنوان: «مطاردة جاسوس» وقصة عن آرثرشي قال الكاتب فيها: «إنها القضية التي أثارت إنجلترا كلها دفاعا عن غلام صغير، مأخوذة عن كتاب صدر في بريطانيا في ذلك الوقت بعنوان: «المحاكمات البريطانية المشهورة».

وانفرد العدد بصفحة جديدة تحت عنوان «ألعاب سحرية». واختفت صفحات الطرائف من هذا العدد إلا من ربع صفحة فقط.

الفصل الرابع

مؤلفاته وأعماله

أهم مؤلفاته، فهو سجل مهم ودقيق لأغلب الحوادث والوقائع التي شهدتها الكويت منذ تأسيسها حتى ما بعد استقلالها، وبعض تلك الأحداث تكاد لا تتوافر في كتاب غيره. فقد احتوى على ٢٢٠ واقعة وحكاية وخبرا في جميع ما يخص النواحي التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفنية على مدى قرنين ونصف من تاريخ الكويت، مثل: أول جامع، أول مدرسة، أول مستوصف، أول هاتف، أو مقهى.. إلخ.

وقد طَبع هذا الكتاب أول مرة في المطبعة العمومية في دمشق عام ١٩٦٢ في ٤١٦ صفحة، وأعاد طباعته منقحا ومزيدا في عام ١٩٨٠ في ٥١١ صفحة. والكتاب مزدان بالصور والوثائق، وقد قسم في طبعته الثانية إلى ثلاثة أبواب رئيسية:

الباب الأول: أوليات كويتية.

الباب الثاني: أحداث وحكايات.

الباب الثالث: منطلقات العهد الجديد، وتحدث فيه عن فترة ما بعد الاستقلال.

سبب تأليفه للكتاب

يقول عن سبب تأليفه لهذا الكتاب: «كتابي الثالث وهو «من هنا بدأت الكويت»، ويعد من الكتب الوثائقية، وفكرة الكتاب جاءت عندما طالب عبدالكريم قاسم عام ١٩٦١ بضم الكويت إلى العراق مدعيا أنها جزء منه، فشرحت في هذا الكتاب كيف أن الكويت لم تكن تابعة للعراق، وأكدت ذلك بالوثائق التي كنت قد جمعتها، واستغرقت كتابة هذا الكتاب ستة أشهر متتالية»(٧).

والكتاب مزيج من تاريخ الأحداث وتدوين الرواية، ينقل طرفا من حكايات كويت الأمس وقبسا من حكمة الراحلين، وصورا من حياة الكويت المتجددة عبر العصور(٨)، وهو سجل تاريخي قيم ومرجع مهم لكل باحث في تاريخ الكويت.

يتحدث الأستاذ الحاتم في مقدمته عن مكانة الكويت خلال القرن التاسع عشر الميلادي بقوله: لا أظنني مبالغا إذا قلت إن الكويت كانت فيما مضى تتحكم في معظم أسواق آسيا وأفريقيا، حتى أن الإنجليز أنفسهم كانوا ينظرون إلى أهل الكويت على أنهم مصدر قلق وخطر على اقتصاد المنطقة.

وما قصة الحصار الاقتصادي الذي ضربه الإنجليز حول الكويت إبان الحرب العالمية الأولى عنا ببعيد.

وأشاد بدور رجال المال والاقتصاد الكويتيين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وذكر منهم محمد الفرج والد الشاعر والفنان عبدالله الفرج الذي قدرت ثروته بالملايين، وكان يملك أضخم أسطول من السفن الشراعية الكبيرة، وكان يتنقل بها بين شواطئ آسيا وأفريقيا.

وآل إبراهيم ومنهم عبدالعزيز آل إبراهيم، ويوسف الإبراهيم، وآل البدر، ومنهم يوسف البدر، والعصامي الحاج هلال المطيري، وآل الصقر ومنهم الحاج حمد الصقر وغيرهم وغيرهم.

الكويت قبلة العلماء

ويستطرد في حديثه قائلا: والكويت كانت، ولا تزال، كعبة الوفاد من رجال الفكر والعلم والسياسة، أمثال الزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي الذي زارها مرتين، والعلامة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والمتحدث الكبير الشيخ محمد أمين الشنقيطي، والشيخ حافظ وهبة، والكاتب الفيلسوف أمين الريحاني، وكثير من الشخصيات البارزة التي فرت من وجه الحكم العثماني والتجأت إلى الكويت.

أما حاضرها، فالكويت قطعة من الوطن العربي الكبير الذي إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر(٩).

كنت أول طبيبة في الكويت

هذا الكتاب هو مذكرات لأول طبيبة حضرت إلى الكويت في مطلع عام ١٩١٢، ومارست مهنة الطب فيها، وفي الكتاب وصف لبعض نواحي الحياة الاجتماعية والمعيشية للكويت في ذلك الوقت. والدكتورة اسمها «أليانور كالفري» أمريكية الجنسية.

وقد أشرف الأستاذ عبدالله الحاتم على ترجمة هذا الكتاب وطبعه في دمشق بعد أن أخذ الإذن بترجمته عن الأصل الإنجليزي ومن الإرسالية الأمريكية في الكويت، ووضع له مقدمة وشرح بعض مفرداته، وأضاف إليه بعض الصور التي تخدم الموضوع وعلق عليها.

يقول عن سبب ترجمته: هو أول كتاب قمت بالإشـراف على ترجمـته عن كـتاب لأول طبيبة قدمـت إلى الكويت عام ١٩١٢، واسمها «أليانور». قرأت الكـتاب وأعجبني وصفـها للكويـت القديمـة، وفعـلا استأذنتهـا في ترجمـة الكتاب، وغيرت عنوانه فجعلته «كنت أول طبيبة في الكويت»، وكان عنوانه My Arabic days niths وكان من عادتي أن احتفظ بأي صورة تقع في يدي، فتجمع لدي عدد لا بأس به من الصور، وضممتها إلى الكتاب بعد أن وضعت مقدمته وطبع في دمشق.

افتتاح أول مستوصف في الكويت

يقول الأستاذ الحاتم في مقدمته للكتاب: قبل البدء في بناء المستشفى الأمريكي في الكويت عام ١٩١١، كان الدكتور «آرثوركي بينيت» وزميله الدكتور «فان آس» قد عقدا العزم على إنشاء مستوصف، واستأجرا لذلك «ديوانية بودي» الواقعة في وسط البلدة، وأسسا فيها مستوصفا صغيرا، إلا أن الجمهور قابله بالكثير من التحفظ بل التخوف، وهذا الشيء متوقع خصوصا في بلد كالكويت الذي لم يكن له عهد بمثل هذا المستوصف ولا بالقائمين عليه.

ويضيف: والدكتور «بينيت» وزميله كانا يتوقعان هذه السلبية من الجمهور عند البداية، ولكنهما في الوقت نفسه كانا يؤمنان بأن هذا المستوصف لا بد أن ينجح، وأنه لا بد أن يأتي يوم يتدافع فيه الزوار حوله، وكانت وسيلة الدكتور «بينيت» وزميله إقناع الناس في كل مناسبة.

وصول الدكتورة «أليانور كالفري» إلى الكويت

في مطلع يناير سنة ١٩١٢، وصلت الدكتورة أليانور، أو حليمة كما أطلق عليها الأهالي، وافتتحت عيادتها في المستوصف الذي مر ذكره لمعالجة النساء، وكانت تعتقد قبل قدومها إلى الكويت أن مهمتها ستكون شاقة، وليس من اليسير تذليل صعابها ما لم تمر فترة تختلط فيها بالمجتمع الكويتي، وتطلع على تقاليده وعاداته حتى تتمكن من تأدية واجبها على خير وجه.

تقبل المجتمع الكويتي لرسالة الطب

يعلق الأستاذ الحاتم على تساؤل الدكتورة أليانور بقوله: إن المجتمع الكويتي برهن على أنه مجتمع مرن قابل للتطور والنماء، مستعد لقبول كل جديد مفيد

نافع خاصة في مجال العلم والمعرفة والوعي، وهذا سهل من مهمة الدكتورة إلى حد بعيد، وأكبر مثال على ذلك الحركة الاجتماعية الجديدة، التي كان من نتائجها هذا التحول العظيم في كل مضامير الحياة بعد ظهور النفط.

هذا، وقد زارت الدكتورة الكويت مرة ثانية في عام ١٩٥٥ بصحبة زوجها، وقد دونت ما شاهدته من تطور طرأ على الحياة في الكويت في الفصل الأخير من كتابها.

بناء المستشفى الأمريكي (الأمريكاني)

في عام ١٩١١، سُمح للإرسالية الأمريكية بشراء أرض مناسبة لبناء مستشفى، وفي عام ١٩١٣، بُني المستشفى فوق التل الصغير الواقع غربي المدينة عند ساحل البحر مباشرة، وكان أول بناء يُشيد في الكويت من الخرسانة المسلحة، وقد بلغت تكاليف بنائه ٦ آلاف دولار.

وصول الدكتور «ملري»

يذكر الأستاذ الحاتم أنه في المرحلة الأخيرة من نشاط المستوصف الصغير السابق الذكر، كان الدكتور «ملري» في طريقه إلى الكويت لافتتاح المستشفى «الأمريكاني» الجديد ومباشرة العمل فيه(١٠)، فوصل إليها سنة ١٩١٣، وبدأ عمله الطبي فيه. واستمر في عمله مسؤولا عن المستشفى حتى تقاعد في عام ١٩٤١، حيث خلفه الدكتور «سكدر» في هذه المهمة، وسار العمل فيه بالنشاط والحيوية نفسها حتى شهر أبريل من عام ١٩٦٧، عندما أنهت جمعية الإرساليات الأمريكية خدمات هذا المستشفى لظروف أهمها زوال ضرورة بقائه.

أثر المستشفى في نفوس الناس

يعرّج الأستاذ الحاتم في نهاية مقدمته على موضوع الكتاب وأثر المستشفى الأمريكي بعد ذلك في نفوس الناس بقوله:

ومع ذلك، فقد يكون موضوع الكتاب محدود الفائدة بالنسبة إلى الباحث والدارس، إلا أنه يظل يحمل في طياته الفائدة والمتعة لمن يريد الاطلاع على تلك الفترة القاسية التي شهدتها المؤلفة، ليرى كيف كان يعيش الناس ويقاسون المشقة والمرارة، فالمريض يمزقه الألم من دون أن يجد من يخفف عنه الداء ويعالجه المعالجة الصحيحة.

ولقد كان لهذا المستشفى مكانة كبيرة في نفوس الكويتيين، وهو جزء من تاريخ الكويت، فقد عاصر الأحداث الجسام التي مرت بالكويت، وباشرها بنفسه، ففيه عولج جرحى معركتي الجهراء والرقعي، وساهم أيضا، إلى حد كبير، في مكافحة العديد من الأوبئة، ومنها وباء الجدري الذي تفشى عام ١٩٣٠، كما أجرى بنجاح مئات العمليات الجراحية، بالإضافة إلى الإرشادات والنصائح الطبية التي كان يقدمها إلى زواره، مما ساعد كثيرا على تخفيف حدة الأمراض وزوال الكثير منها(١١).

خيار ما يلتقط من الشعر النبط

كتاب جمع فيه كمية كبيرة من الأشعار لكبار شعراء الكويت وبعض أقطار الجزيرة العربية، ولولا جهوده في جمع وإخراج هذا الكتاب، لضاع كم هائل من أشعار كبار شعراء النبط في المنطقة.

والكتاب يقع في جزأين كبيرين، احتوى الجزء الأول على ترجمة ٤٢ شاعرا، واحتوى الجزء الثاني على ترجمة ٢٨ شاعرا.

سبب تأليفه لهذا الكتاب

يقول عن سبب جمعه وتأليفه لهذا الكتاب: لهذا الكتاب قصة طريفة، فقد كانت هوايتي جمع كل ما يكتب من الشعر النبطي، وكونت مجموعة منها، وقررت أن أطبعها في كتاب، وأخبرت بذلك أستاذي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي طلب مني أن يرى هذه المجموعة، وما أن رآها حتى قال لي: هذا شيء بسيط مما كتب في الشعر النبطي، ولا يستحق أن يوضع في كتاب، إن لدى الشيخ عبدالله السالم الصباح مجموعة كبيرة من الشعر النبطي يحتفظ بها ويمكنني إحضارها منه، وكانت تربطه صداقة مع الشيخ عبدالله السالم.

وفعلا أحضر لي مجموعة كبيرة مكونة من مجلدين، أخذتها ونقلتها باليد وسافرت بكل ما عندي إلى الشام، وطبعت الكتاب هناك(١٢).

جاء في تمهيده للكتاب ما يلي:

والشعر العربي ينقسم إلى قسمين، الأول: الفصيح بتراكيبه وبحوره وخفضه ونصبه ورفعه، ومبتدئه وخبره، وما إلى ذلك من قيود النحاة والعروضيين. والقسم الثاني: الشعر البدوي أو الشعر النبطي بتحرره وانطلاقه من هذه

القيود. وهذا الصنف أكثر تحررا من الأول بعدم رضوخه لقيود النحاة الآنفة الذكر، مع احتفاظه بمعانيه وألفاظه واصطلاحاته وأوزانه.

قال ابن خلدون في مقدمته: «إذا كان الشعر البدوي مستقيما ومحتفظا بأوزانه، فلا قيمة لحركات النحاة لأن الكلام يعرف بالقرائن، ولا عبرة في الرفع والنصب».

وعرف الشعر النبطي بقوله: الشعر النبطي كان يسمى الشعر البدوي أو الشعر الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف الشام، أما هذه التسمية، أي النبطي، فإنها على ما يظهر لم تحدث إلا قبل ستمائة عام تقريبا، بدليل أن ابن خلدون في كلامه عن هذا الشعر وتبسطه فيه لم يذكر هذه التسمية مطلقا، مع أنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها في هذا الباب.

وقيل إنها منسوبة إلى جيل أقبلوا من بلاد فارس ونزلوا بالبطائح بين العراقيين يعرفون بالأنباط ويعرف كلامهم بهم، مثلا فلان نبط، أي تكلم أو قال شعرا.

وقال في موضوع آخر من الكتاب: الشعر العامي منبعه من البادية، ثم تسرب إلى المدن والقرى بسبب تحضر الكثير من البوادي، فانقسم الشعر البدوي على نفسه قسمين: شعر البادية وشعر الحضر سكان المدن، أما الشعر البدوي فيظل محتفظا بميزاته من سلامة اللفظ وقوة المعنى والصراحة وعدم التكلف والتعقيد(١٣).

أسماء بعض الشعراء الذين ذكرهم

الجزء الأول:

تناول في الجزء الأول من كتابه: «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، شعراء عاشوا في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، خصوصا منطقة نجد منذ القرنين التاسع والعاشر الهجريين أمثال:

١- راشد الخلاوي: الذي قال عنه إنه شاعر ممتاز، وشعره خال من التعقيد والتكلف، قوي المعنى ورصين العبارة، لذلك فهو مرغوب عند الناس، لأنه لولا ذلك لما عثرنا على شيء من قصائده لطول المدة بيننا وبينه.

٢- أبو حمزة العامري: قال، هو من شعراء القرنين التاسع والعاشر الهجريين.

٣- الشريف بركات: من أشراف مكة، ومن سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن شعراء القرنين العاشر والحادي عشر البارزين.

٤- رميزان التميمي: قال عنه، إنه شاعر مشهور من آل بوسعيد - بطن من تميم - تولى رئاسة «روضة سدير»، ولاه الشريف زيد بن محسن أمير مكة هذا المنصب.

٥- محسن الهزاني: وصفه بالشاعر الكبير صاحب الغزل والنسيب، وقال عنه أيضا إنه من الكرماء الأجواد ومن نوابغ نجد الأفذاذ في الأدب والشعر، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

٦- حميدان الشويعر: قال إنه من العلماء والشعراء الأفذاذ، إلا أن شهرته في الشعر تجاوزت الحد بسبب سلوكه طريق النقد اللاذع والهجاء الممزوج بالهزل. وقال هو في الشعر النبطي كالشاعر الحطيئة في الشعر الفصيح، مات سنة ١١٦٠هـ.

٧- جبر بن سيار: قال عنه، شاعر شهير وأحد أدباء نجد، يسمى جبر بن سيار ومنهم من يسميه جبر بن حزمي، لكن الأصح جبر بن سيار، ولا يوجد من شعره إلا القليل، ولولا نفاسته لما عثرنا على شيء منه. عاش في زمن حميدان الشويعر، عمّر طويلا ويقال إنه بلغ المئة، وفي آخر أيامه كف بصره.

٨- أحمد بن محمد السديري: قال في حقه، ذو الرياسة والأدب، صاحب العقل الخصيب والرأي السديد والشجاعة النادرة والكرم الحاتمي، والفصاحة المتناهية، صاحب المكانة الرفيعة في دولة آل سعود، وغيرها عن جدارة واستحقاق، توفي عام ١٢٧٧هـ.

٩- محمد بن لعبون: قال عنه الشاعر النبطي الكبير، وعده من طلائع شعراء الحضر، فسكان البادية يعدونه شاعرا بدويا، وسكان الحضر يعدونه شاعرا حضريا، وحدد ولادته في بلدة «تويم» من بلدان نجد سنة ١٢٠٠هـ، وتوفي بالطاعون في الكويت سنة ١٢٤٦هـ، وأورد له الكثير من القصائد التي جاوزت الخمسين صفحة.

الجزء الثاني:

احتوى الجزء الثاني من كتاب «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، مختارات منتقاة من الشعر النبطي لكبار شعراء الكويت مع نبذة عن حياتهم ومساجلاتهم، وهم:

١- عبدالله الفرج: ١٨٣٦ - ١٩٠١

قال عنه: هو أديب الكويت الفذ وهزارها الذي غرد زمنا، ثم صمت ليردد صداه في شبه الجزيرة العربية، لقد بلغ المترجم له بأدبه الأوج، وسما بسعة خياله إلى مكانة لم يبلغها أحد من معاصريه.

٢- محمد الفوزان: ١٨٢٤ - ١٨٩٦

وأتى ضمن هذا السياق على ذكر الشاعر الكويتي محمد الفوزان، وقال عنه: إذا استثنيا واحدا مع قلة إنتاجه، ذلك هو شاعر الكويت على الإطلاق - بحسب رأيه - محمد بن فوزان، وكان يسمى «حليق الذهب» لندرة وجودة ما يقول.

٣- إبراهيم الديحاني ١٨٩٤ - ١٩٥٥

قال: إنه شاعر نبطي من الدياحين، وهم فخذ من قبيلة مطير، امتاز شعره بالهزل والمرح، وحمل في طياته مغزى اجتماعيا، ونقدا ساخرا، وقد تفاعل الناس مع بعض قصائده، وخصوصا قصيدة «البشوت». نظم هذه القصيدة على إثر القرار الذي أصدره حاكم الكويت الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح في ١٤ من يناير ١٩٣١ بعدم لبس البشوت واستعمال العصا والدقلة.

وقد جاء هذا القرار في وقته لسبب اقتصادي نظرا إلى كساد أسواق اللؤلؤ وقيل لغير ذلك. وسميت أو عرفت تلك السنة بسنة «البشوت».

ويقول الأستاذ الحاتم: كان الشاعر الديحاني، طبعا، من بين المنفذين لهذا الأمر، ولكنه لم يستطع كبح جماح شاعريته، فقال القصيدة التي مطلعها:

يا رب صبرني على كل ما كاد

وانظر الى وقت مدبرات سنينه

٤- حمود الناصر البدر: ١٨٧٠ - ١٩١٥

ترجم له أديبنا الحاتم بقوله: من مشاهير شعراء النبط في الكويت، ومن أدبائها الأفذاذ، حمود بن ناصر بن يوسف البدر، العائلة المعروفة في الكويت ذات التاريخ المجيد.

ويضيف: إن من الناس من يعد حمود في مقدمة شعراء الكويت، لا يجاريه في ميدانه أحد قبله ولا بعده، وهذا جائز إذا ألقينا نظرة على قصيدته الطويلة في مدح المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وقصيدته الأخرى في واقعة «الصريف» وكيف أجاد فيهما، وفي الحقيقة إن هاتين القصيدتين لم يسبقه إليهما أحد مطلقا.

٥- عبدالمحسن الطبطبائي ١٨٨٠ - ١٩٢٨

شاعر كويتي نبغ في نظم الشعر النبطي والزهيري في سن مبكرة، وهو ينتسب إلى بيت شرف وأدب.

كان للشاعر عبدالمحسن الطبطبائي دور بارز في رصد الحوادث التي كانت في عصره، سجل بعضها في شعره.

أورد له الأستاذ الحاتم قصيدته المشهورة «أرى الدار»، وهي قصيدة فيها الكثير من الحكمة والبلاغة، وربما تكون آخر ما كتب، مطلعها:

أرى الدار مـا توفي مـواضي وعـودها

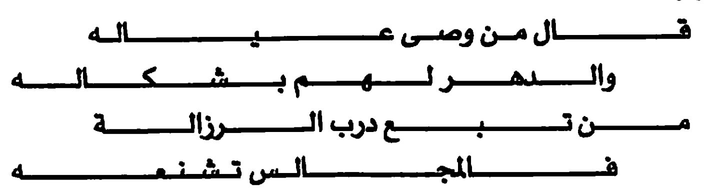
ولا عـادها اللي كـان فـيـها يعـودها

٦- صقر النصافي ١٨٧٨ - ١٩٤٨

من شعراء الكويت الذين ورد ذكرهم في الجزء الثاني من كتاب: «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، اسمه صقر بن مسلم زيد النصافي الرشيدي، شاعر نبطي جيد، امتاز شعره بالحكمة والنصح والإرشاد، وكان يلامس واقع الناس ووسائل عيشهم بأسلوب واقعي مميز. تخصص في فن «القلطة»، وعرفه الناس من خلال هذه الطريقة من الشعر.

عمل في بداية حياته في الغوص على اللؤلؤ، كما عمل بعد ذلك في الحكومة. جمع شعره حفيده مهلي مهلي الرشيدي، وصدر الديوان باسم: ديوان الشاعر صقر النصافي، وقد حدد تاريخ ولادته عام ١٨٦٨ ووفاته عام ١٩٤٨.

أورد له الأستاذ عبدالله الحاتم قصيدة طويلة تقع في ٦٨ بيتا عبارة عن نصح وإرشاد، مطلعها:



قـال مـن وصـى عـيـالـه

والـدهـر لـهـم بـشـكـالـه

مـن تـبـع درب الـرزالـة

فـالمجـالـس تـشـنـعـه

تحقيقه لبعض دواوين كبار شعراء النبط

في مجال اهتمامه بالأدب الشعبي، ومتابعة أخبار كبار الشعراء في هذا المجال، جمع وحقق عددا من دواوين هؤلاء، وطبعها تحت سلسلة من الشعر النجدي وهي:

١- ديوان الشاعر محمد العبدالله القاضي:

وهو من كبار شعراء نجد، ولد في مدينة «عنيزة»، كان كريما قل أن يخلو بيته من الضيوف.

قال عنه الأستاذ عبدالله الحاتم: محمد العبدالله القاضي لم يكن في وقته من يضاهيه من الشعراء في جزالة اللفظ وسهولته، وبراعة الأسلوب وتدفق المعاني المعبرة، مما يثلج في صدره ويخالج ضميره.

وأضاف:إن ناحية واحدة من نواحيه الشعرية المتعددة كافية لجعله في طليعة الشعراء، وهذه الناحية هي الوصف لأنه فيه أشعر منه في غيره. توفي سنة ١٢٨٥هـ.

٢- ديوان الشاعر محمد العبدالله العوني:

الشاعر السياسي المشهور الذي لعب أدوارا مهمة بشعره على مسرح السياسة في شبه الجزيرة العربية.

قال عنه الأستاذ الحاتم: محمد العبدالله العوني أشهر شعراء نجد في عصره وأقدرهم علي إصابة الهدف، ولكن من الناحية السياسية فقط. فقد نال بهذه الناحية أقصى ما بلغه شاعر قبله ولا بعده، فلولا هذا الطريق الذي تنكبه على الرغم من خطورته وويلاته لكان العوني غير العوني، أو بعبارة أوضح، لأصبح أقل الشعراء مرتبة، لأنه لم يشتهر إلا عن هذا الطريق كما قلنا. ومن أبرز شعره قصيدته المشهورة «الخلوج» التي بعثها إلى الشام يستحث فيها «إعقيل» ويستصرخهم، ويذكرهم بما عمله عبدالعزيز بن متعب الرشيد في نجد من مظالم، ومطلعها:

خلوج تجذ القلب باتلا أعوالها

تكسر بعبرات تحطم إسهالها

حصر العوني تفكيره كله في السياسة، وأطلقه شعرا رائعا متزنا قويا سهل القافية قوي الرابطة، عديم التكلف خاليا من الألفاظ الاصطلاحية، ولكنه استفزازي بحسب ما تنطوي عليه نفس الشاعر من ميول استفزازية، توفي سنة ١٣٤٢هـ.

٣- ديوان الشاعر عبدالله بن حمود بن سبيل:

جمع أديبنا الحاتم شعره ورتبه وفسر غريب ألفاظه، وقدم له بقوله:

هو عبدالله بن حمود بن سبيّل «بتشديد الياء»، من فحول الشعراء، ويعد في المرتبة الأولى بين شعراء نجد المتأخرين، وإن من يقرأ شعره بإمعان وتروٍّ يرى أننا على جانب كبير من إصابة الرأي فيه.

وهو شاعر غزلي من الصنف الأول، وإن جل شعره في الغزل والتشبب، ولم يمدح أحدا في شعره سوى محمد بن رشيد اكتفاء شره. ولد الشاعر في قرية «نفى» في عالية نجد حوالي سنة ١٢٧٧هـ، وتوفي سنة ١٣٥٧ هـ.

٤- ديوان الشاعر إبراهيم بن جعيثن:

من شعراء بلدة «التويم» في مقاطعة سدير من نجد، يمتاز شعره بالسهولة والوضوح، ويمثل البيئة التي يعيش فيها أصدق تمثيل. وقد برع في تصوير خلق المرأة وطبائعها، كما عالج أحوال زمنه الاجتماعية على نحو ما درج عليه حميدان الشويعر. ويعد من المكثرين في شعر النبط، وله ابتكارات واتجاهات في أوزان الشعر وأغراضه.

عاش مائة سنة وسنتين، وتوفي في بلدة «التويم» عام ١٣٦٢هـ.

هوامش

1 الحركة الأدبية والفكرية في الكويت - د. محمد حسن عبدالله ص ٢٠٥ - ٢٠٩.
2 أدباء الكويت في قرنين - خالد سعود الزيد ص ١٩٨ الجزء الثاني.
3 المصدر السابق ص ١٩٨ - ومجلة صوت الخليج العدد الخامس بتاريخ ٣١ أيار ١٩٦٢.
4 خليج الحكايات - خالد البسام ص ٢٧ - ٢٨.
5 مجلة صوت الخليج - العدد الخامس - مصدر سابق.
6 انظر كتاب الحركة الأدبية والفكرية في الكويت - د. محمد عبدالله ص ٢٠٥.
7 من مقابلة مع مجلة اليقظة.
8 من كلمة التعريف بالكتاب على الغلاف الأخير من الطبعة الثانية.
9 حديث رواه الإمام البخاري ونصّه: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.
10 كنت أول طبيبة في الكويت ص ٥ - ٦.
11 المصدر السابق ص ٨ - ٩.
12 مجلة اليقظة - مقابلة مع الأستاذ عبدالله حاتم.
13 خيار ما يلتقط ص ١٥ الجزء الأول.

المصادر والمراجع

١- أدباء الكويت في قرنين، الجزء الثاني، تأليف: خالد سعود الزيد، الناشر شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١.
٢- الجمعية الخيرية العربية وبواكير النهضة الحديثة في الكويت، تأليف: بدر ناصر المطيري، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٨.
٣- الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، الدكتور محمد حسن عبدالله، الجزء الأول، رابطة الأدباء في الكويت، ١٩٧٣.
٤- خليج الحكايات، خالد البسام، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
٥- خيار ما يلتقط من الشعر النبط، لجامعه وملتقطه: عبدالله بن خالد الحاتم، الطبعة الثالثة، ١٩٨١، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
٦- ديوان الشاعر محمد العبدالله القاضي، جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه عبدالله الخالد الحاتم، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
٧- ديوان الشاعر عبدالله بن حمود بن سبيل، جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه عبدالله الخالد الحاتم، الطبعة الأولى، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤.
٨- رحلات الإمام محمد رشيد رضا، جمعها الدكتور يوسف إيبش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١.
٩- الصحافة الكويتية، دراسة توثيقية تاريخية أرشيفية، تأليف د. أحمد بدر وعبدالرحمن عبدالله الشيخ، نبيل إبراهيم الجداوي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، بدون تاريخ.
١٠- عيون من الشعر النبطي، جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه عبدالله الخالد الحاتم، الطبعة الأولى، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤.
١١- كنت أول طبيبة في الكويت، أليانور كالفري، أشرف على الترجمة عبدالله الحاتم، الطبعة الأولى، ١٩٦٨، مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحافية، الكويت.
١٢- شخصيات كويتية، إعداد: عادل محمد العبدالمغني، الكويت، ١٩٩٩.
١٣- من عيون الشعر الشعبي، أو طرائف الكلام من شعر العوام، جمع وتأليف: عبداللطيف سعود البابطين، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
١٤- من هنا بدأت الكويت، تأليف: عبدالله بن خالد الحاتم، المطبعة العمومية، دمشق، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١٥- من هنا بدأت الكويت، تأليف عبدالله خالد الحاتم، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، مطابع القبس، الكويت، ١٩٨٠.

١٦- نفحات الخليج، الجزء الرابع، الشعر الضاحك، عبدالله سنان محمد، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٣.

الجرائد والمجلات:

١- جريدة صوت الخليج.

٢- جريدة القبس.

٣- مجلة الفكاهة.

٤- مجلة اليقظة.

٥- مجلة البيان.

٦- مجلة الزمن.

٧- لقاء مع كل من:

١- الأستاذ الباحث عادل العبدالمغني.

٢- الأستاذ الباحث صالح خالد المسباح.

تعقيب عبدالله خلف
على منارة
الأستاذ عبدالله خالد الحاتم

التعقيب على المنارة

أ. عبدالله خلف(*)

احتفلت الأوساط الثقافية سنة ٢٠٠١، باختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية، وقبل دخول هذا العام رأت رابطة الأدباء بمجلس إدارتها أن يكون للرابطة دور بارز تسلط فيه الأضواء على رموز أدبية وثقافية، لإثراء الحركة الأدبية والثقافية.

وقد رشحنا مجموعة من الأدباء، وبمثل عددهم اخترنا أسماء الباحثين والكتاب حتى تمكنا بعد ذلك من إصدار عشرة كتب خلال ذلك العام، وأشرف على هذه السلسلة الأستاذ سليمان الخليفي والدكتور سالم عباس خداده، كان الكتاب رقم ١٢ من نصيب الأستاذ خالد سالم محمد، وعلى طريقته الهادئة وخلقه الكريم تقبل مرحبا أن يعد كتابا عن المرحوم عبدالله خالد الحاتم وأدركنا جميعا أن مهمته ستكون شاقة، حيث يفتقر البحث إلى مراجع ومواد وفيرة، والحاتم ليس له غير كتاب «من هنا بدأت الكويت»، وهو حصيلة جمع لأولويات لها طابع التاريخ وليست من منهج التاريخ، وهي إحصاءات أرشيفية لا تخضع لعلم الببليوجرافيا التي تحصي الكتب ومؤلفيها والناشرين أو تتحدث عن بلد ما أو موضوع بذاته، وأحصى الحاتم أوائل المحتويات كالطباعة والمجلات والجرائد والمكتبات، وقد نطلق على هذا الجهد الكبير أنه رصد ومتابعة البدايات التاريخية والاجتماعية.

الأستاذ خالد سالم محمد تقبل التكليف بصدر رحب مع علمه أن ليس للأستاذ عبدالله الحاتم من كتب غير كتابه هذا «من هنا بدأت الكويت» وله كتاب ذكر فيه مجموعة من شعراء النبط، ومجلة الفكاهة له فيها بعض الافتتاحيات باسم مستعار رمز إليه بحرف (ع) ويشاركه اثنان في هذا الحرف (ع)، تجنبا

(*) - ولد في ١٢ نوفمبر ١٩٣٧ في منطقة شرق. - حاصل على ليسانس آداب من جامعة الكويت، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، عام ١٩٦٩. - حاصل على ماجستير من الجامعة اليسوعية في بيروت، عام ١٩٧٤. - أحد أعلام الفكر والثقافة، ومن الكويتيين القلائل الذين لهم اهتمامات لغوية في مجال البحث والدراسة والنقد. - شغل منصب رئيس، ثم مراقب للبرامج الأدبية والثقافية خلال الفترة من ١٩٦٣ - ١٩٨٨، حيث قدم خلالها العديد من الأحاديث والبرامج الأدبية والثقافية بجدارة. - شارك في تأسيس مسرح الخليج، عام ١٩٦٣. - ألف ثمانية كتب مهمة، وله كتابات صحفية عدة.

للمساءلة المباشرة في أوائل الخمسينيات، والبلاد لم تكن قد استكملت بناء أجهزتها الإدارية الرسمية، والمؤسسة القضائية لم تخضع بعد لمؤسسة واحدة، وكانت الكتابة وإصدار مجلة مخاطرة لأن صاحبها لا يعرف ما سيواجهه من مخاطر، عند انتقاده لمسؤولين في البلاد، وكان هناك عدد من المسؤولين في جهاز الأمن يزاولون التحكيم الأمني والقضائي المرتجل، وبقيت الأحوال على هذا الشكل إلى أن تحقق الاستقلال، فاستقلت المؤسسات الأمنية والقضائية، عندها أمن الكتاب على حالهم وأقلامهم وندرت ظاهرة الأقلام المستعارة، لذا احتمى عبدالله الحاتم في إطار الفكاهة، وتناول بعض الموضوعات الاجتماعية. وعندما بدأت تطبع في سوريا، أخذت المجلة تتناول بعض الموضوعات السياسية.

نعود إلى الجهد الكبير الذي بذله الأستاذ خالد سالم الذي قبل دون تردد أن يضع كتابا عن عبدالله الحاتم، ونعلم معه أن الباحث يحتار أمام أمرين ويجد فيهما الكثير من المعاناة:

أولا: إذا كان الكاتب غزير الإنتاج في مختلف النواحي الإبداعية في الشعر والقصة والبحوث ولديه العديد من الكتب.

ثانيا: إذا كانت أعمال الأديب محدودة ويغلب عليها جهد الإعداد، فليس له من ذلك غير الجمع، وجهوده في إيجاد المادة وترتيبها مع كتابة سير الأعلام الذين جمع أعمالهم، كما عمل عبدالله الحاتم في كتاب: «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، وأرى خطأ كبيرا لم يشر إليه الباحث خالد سالم في عنوان كتاب الحاتم الثاني: «أخبار ما يلتقط من الشعر النبط».

ولو كان العنوان من الشعر النبطي لجاز ذلك، أما خيار ما يلتقط من الشعر النبط فهذا خطأ لغوي فات المؤلف إصلاحه.



وأحسن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب اختيار الباحث خالد سالم محمد، عندما كلفه بالكتابة عن الأستاذ عبدالله الحاتم لتجربته الوافية في الكتابة عنه لأنه تقصى كل نواحي أنشطته الثقافية، بعد أن بحث في كل المجالات الثقافية والأدبية في حقبة الخمسينات من القرن الماضي.

الأستاذ عبدالله الحاتم، هو في طليعة الصحافيين في العقد الخامس من القرن العشرين، وقد أصدر مجلة «الفكاهة» في ١٢/١٠/١٩٥٠، وهي: «مجلة فكاهية اجتماعية، رئيس تحريرها فرحان راشد الفرحان، وصاحبها المسؤول عبدالله خالد الحاتم».

وحاز الحاتم قصب السبق في كون مجلته هي أول مجلة أسبوعية، كما سبقت الإصدارات الصحافية اليومية.

وقد تمكن صاحبها من إصدار تسعة أعداد فقط، وتوقفت عن الصدور في ١٩٥١/٢/٧.

زار رابطة الأدباء وفد من الجمهورية السورية وهو في ضيافة وزارة الإعلام وذلك في ٢٠٠١/٦/٢٠، وتكون الوفد من أ. محمد خير بك وأ. محمد خالد عمر.

وقبل تقديم الأمسية الشعرية، دار الحديث عن العلاقات الثقافية وما تحدث به الشعراء عن الدول العربية، وعن سوريا في أثناء نضالها ضد المستعمر.

وبعد أن اتسع نطاق الحديث إلى مواقف الشعراء وطرائفهم، تدخلت فقلت: هل تصدقون أننا قد غزوناكم قبل نصف قرن، وكانت لنا صولات وجولات داخل العاصمة السورية دمشق؟ فاستغرب الحاضرون خروجي عن سياق الحديث إلى مزحة قد تكون سمجة ليس لها قرار، وعندما ارتسمت علامات الدهشة والاستغراب وساد صمت طويل منتظرين مني الإيضاح، قلت لهم نعم كان لنا غزو فكري تمثل في طموحات شاب كويتي قبل نصف قرن في إصداره مجلة ثقافية هي مجلة «الفكاهة» وكانت تطبع في دمشق وتوزع بسعر زهيد على قراء سوريا والمصطافين من الكويتيين في سوريا ولبنان، وكان يوزعها في الكويت والبحرين وبعض البلاد العربية. وقلت للحاضرين إن صاحب المجلة الأسبوعية «الفكاهة» هو عبدالله الحاتم، اخترقت جرأته البلد الذي صنع الصحافة العربية وصدرها إلى مصر ودول عربية، وكانت خطوته الجريئة هذه مثل الذي باع الماء في حارة السقائين، فمن بلد يشكو الظمأ وندرة الماء إلى ندرة الصحافة، وثبت في سقايته الثقافية المبكرة في معقل الصحافة العربية ومركز صناعتها. نعم إنه عبدالله الحاتم..

وللباحث خالد سالم محمد فضلان، الأول في الكتاب القيم الذي كتبه عن عبدالله الحاتم، والثاني البحث القيم الذي هو بين أيديكم وقد استمعتم إليه.

نعم إنه جهد وافر يشكر عليه.

قال الدكتور محمد حسن عبدالله وهو يعد لكتابه «الحركة الأدبية والفكرية في الكويت»: إنه سأل الأستاذ عبدالله الحاتم عن دوافعه لإصدار مجلة فكاهية في بيئة توصف بأنها متزمتة أو محافظة، كما توصف

بالعزوف عن الصحف عموما في تلك الفترة، فأجاب بأن «الفكاهة» ربما كانت علاجا للجانبين معا، وشرح الحالة المادية وصعوبة الطباعة وتكلفتها الباهظة، وقال أيضا:

إن إدارة المعارف في الكويت قد اشتركت بستين نسخة من المجلة بقيمة ٦٣٠ روبية، والمجلة كانت تطبع ألف نسخة من كل عدد، وثمن النسخة خمس آنات (١) وتكلف طباعة النسخة خمس آنات، وظهر العدد العاشر بعد احتجاب دام ثلاث سنوات في ١٩٥٤/٧/٢٠، وظلت تصدر بصورة غير منتظمة حتى توقفت في ١٩٥٨/١١/٢٤ بعد أن أكملت ٩٧ عددا.

وفي هذه الفترة، ظهرت مجلتان سياسيتان لهما طابع الجرائد العصرية في مواكبة الأحداث العالمية والقضايا الاجتماعية وهما: جريدة «الفجر»، لسان حال نادي الخريجين، وجريدة «الشعب» لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ خالد خلف.

ومجلة الفكاهة لم تكن ترفيهية لإضحاك قرائها، بل ناقشت قضايا جادة وإن جعلت الفكاهة هي إطارها العام.

ولقد استقطب الباحث الأستاذ خالد سالم آراء بعض الأدباء في مجلة الفكاهة مثل الأديب فاضل خلف الذي قال: إن المجلة لاقت ترحيبا كبيرا من المواطنين، وشارك العديد من الأدباء في الكتابة فيها، وعبر بعض الأدباء عن الفراغ الذي تركته عند احتجابها.

وقال: إن الفكاهة كانت متنفسا أنقذ إنتاج أدبائنا من سلة المهملات، وقال الأديب خالد سعود الزيد عن المجلة:

جمعت الفكاهة حولها قلوب الناشئة من الشباب وأقلام الأدباء والكتاب، وكانت بداية لشعراء اليوم ومنطلقا لهم.

وكان على الباحث الأستاذ خالد سالم أن يثبت المراجع التي استند إليها وهو يتحدث عن رأي الأدباء في المجلة، كما أثبتها في كتابه «عبدالله الحاتم الصحافي المؤرخ الباحث».

وما قاله عن الأديب فاضل خلف هو فقرة أوردها الأديب خالد سعود الزيد في كتابه «أدباء الكويت في قرنين»، الجزء الثاني صفحة ١٩٨.

وكان جميلا لو أخذ القول مباشرة من الأديب فاضل خلف وهو معه بصورة

---

(١) الآنة: جزء من الروبية، العملة الهندية التي استخدمت في الكويت من سنة ١٩٢٣ إلى ١٩٦١، وهي ١٦/١ من الروبية، والآنه تتكون من أربع بيزات والغيت في سنة ١٩٥٧، وتعادل الآنة الآن ٤,٥٠ فلس وقيمة المجلة تعادل الآن ٢٢,٥ فلس ... ثم ازداد سعرها إلى نصف روبية عندما أخذ يطبعها في دمشق.

دائمة في رابطة الأدباء وعلى اتصال معه، وكذلك لو أشار إلى المرجع مع صاحب الكتاب.

وكان جميلا أيضا لو أورد كذلك المرجع لرأي الأستاذ خالد البسام وهو باحث وكاتب من البحرين، الذي قال قولا حسنا في المجلة وصاحبها، ومما قاله البسام:

«في ١٢ أكتوبر ١٩٥٠ فوجئ الكويتيون بصحيفة جديدة تصدر في بلادهم باسم «الفكاهة»، وبالطبع لم يأخذ الكويتيون المجلة على أنها نكتة أو مزاح بل عدوا الموضوع جادا. وهي أول صحيفة ساخرة تصدر في الكويت والخليج العربي، ومع الوقت ازداد تعلق أهل الكويت بخفة دمها وحلاوة أسلوبها الخفيف الذي يخلط بين الفصحى والعامية في كثير من الأحيان.. ومع هذا النجاح، زادت المجلة من صفحاتها وأصدرت أحيانا أعدادا خاصة، وأدخلت أبوابا جديدة مرحة وضاحكة من الغلاف إلى الغلاف..».

هذا الكلام التوثيقي الجميل كان على الباحث القدير خالد سالم أن يوثقه، من حيث ذكر المرجع الذي استند إليه لكي يفيد القراء والباحثين معا.

ونلاحظ أن الأستاذ عبدالله الحاتم كان يكتب تحت اسم مستعار، وهذه الطريقة يلجأ إليها الكتاب من القراء - عادة - عندما يجربون أنفسهم في الكتابة، أما أصحاب الجرائد فلا يلجأون إلى الأسماء المستعارة.

ومنذ العدد الأول، وجدنا مقالات تحت رموز أو أسماء مستعارة، كما سبق أن أشرت إلى أن ثلاثة من كتابها كتبوا برمز واحد وهو حرف (ع)، ولا نعلم أيهم عبدالله الحاتم إلا بالتخمين، والباحث لم يجزم إن كان الاسم المستعار «بهلول» هو لصاحب المجلة، ولكنه رجح ذلك بقوله:

«والغالب أنه الأستاذ عبدالله الحاتم صاحب المجلة»... وقال عن هذه الافتتاحية التي تصدرت العدد الثاني:

«تكلم فيه عن فن الفكاهة، وأنه فن مثله مثل الموسيقى والرسم والنحت وسائر الفنون الأخرى، والفكاهة تروّح عن النفس وتدفعها إلى البهجة والسرور وتنسيها آلام الحياة ومتاعبها»، حتى القصائد الهزلية التي كان ينتقد فيها أوضاعا عامة كان يستتر بها وراء اسم مستعار يرمز إليه بحرف العين، علما بأن المصارحة في ذكر اسمه لا يجره إلى مساءلة ولا يعرضه لخطر، لكنه استمر في طريقته هذه.

ومن القصائد الهزلية التي كتبها تحت رمز حرف العين (ع) تلك التي حاكى بها قصيدة السموءل المشهورة:

إذا المـــرء لـــم يمـــلأ مـــن الـــرز بـــطـــنـــه
تـــراه ســـمـــين الجـــســـم وهـــو هـــزيـــل
وإن هـــو لـــم يـــدعـــوك يـــومـــا عـــلـــى الـــغـــدا
فـــلـــيـــس إلـــى حـــســـن الـــثـــنـــاء ســـبـــيـــل
تـــعـــيـــرنـــا أنـــا قـــلـــيـــل طـــعـــامـــنـــا
فـــقـــلـــت لـــهـــا إن الـــصـــحـــون قـــلـــيـــل

وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة الفكاهة في ١٩٥٠/١٢/١٠، وأوردها الدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه «الحركة الأدبية والفكرية في الكويت» ص٢٠٦.

وأورد بعد ذلك نماذج أخرى، منها ما حملت عنوان «الكاكولا»:

هات كاس الكوكولا واقترب مني قليلا
هاتها حمراء ياقو تية، واعص العذولا

وقوله في رثاء ساعته التي تعطلت عن الحركة:

قـــفـــي أيـــتـــهـــا الـــســـاعـــة
يـــبـــث الـــصـــب أوجـــاعـــه
يـــودعـــك الـــذي أمـــســـى
يـــذيـــب الـــشـــوق أضـــلاعـــه
ويـــســـتـــودعـــك الـــلـــه
الـــذي أتـــقـــن إيـــداعـــه

ويقول الدكتور محمد حسن عبدالله، وهو يستعرض ظاهرة انتشار الصحف الفكاهية في الوطن العربي خاصة في مصر مثل: التنكيت والتبكيت عام ١٨٨١، ثم تبعتها أسماء مختلفة مثل: المجنون، والمسامير، والنفير، وحمار منيتي، وكانت التنكيت والتبكيت لسان حال المقاومة المصرية: إن التدقيق في ملامح تلك الفترة، بالنسبة إلى الكويت، يجدها فترة قلق وتأهب للتغيير ورغبة في مقاومة أو رفض التغيير، ويمضي قائلا: كانت الكويت بلدا معزولا وشعبه مغلق، وفتحت نوافذه فجأة على العالم الواسع، وتدفقت عليه الأموال والبشر معا، ومن الطبيعي أن يختلف الناس فيه حول تصور المستقبل وما يجدر بهم أن يتمسكوا به أو يلفظوه من قيم الحياة الماضية، وصار للأفكار والعقائد السياسية المتضاربة سوق رائجة، ولم يقف الانقسام عند حدود الأجيال الشابة والجيل الماضي وإنما اتخذ المثقفون موقفا، واتخذ التجار غيره، وهكذا على المستوى

الأسري والبيئي، وكان واضحا في النهاية أن البلد يحاول أن يتشكل من جديد بعد أن رسخت صورتها أكثر مما يجب.

وقال بعد ذلك: والطريف في أمر هذه المجلة أن تناقش مشكلات جادة بغير الفكاهة، وإن جعلت من الفكاهة لها عنوانا، وفي مقال للأستاذ فرحان راشد الفرحان نراه يطرح موضوع الصحافة في البلاد تحت عنوان «تضحكني الصحافة» ومما كتبه: «تضحكني الصحافة في بلادي فقط لأنني أراها تحتضر دائما من الجوع، ولجوعها معنى آخر سأورده فيما بعد، ولكنها لا تزال توهم الناس بابتسامتها بأنها ستعيش، أضحكتني هزءا وسخرية، إذ من الحماقة أن تطبع نسخة واحدة لكل عشرة أشخاص، ويأبى العشرة إلا أن يُشركوا في قراءتها عشرين آخرين، وفوق ذلك لم تستطع الصمود في ميدان مطابعنا المتنقلة التي تعودت الغنج والدلال، بل أدبرت تجر أذيال الخيبة إلى ميدان آخر خارج البلاد، وأضحكتني في المرة الأخيرة لا على نفسها، ولكن على القراء الذين يدعون أن صحافتنا متأخرة ومجلاتنا باردة، وعندما أفكر مليا أجد أن القراء هم المتأخرون وهم المسؤولون عن هذا الجمود، فلو حاول كل شخص اقتناء مجلة واحدة وقرأها وحده لاستطاعت صحافتنا أن تتقدم خطوات واسعة».

هذه شكوى صاغها الأديب فرحان راشد الفرحان محاولا إنقاذ المجلة من تعرضها للخسارة المادية، والسبب أن القراء خاصة التجار كانوا يتبادلون بعض الأعداد القليلة ويتداولونها بينهم ثم يعيرونها إلى غيرهم وهكذا، وأوعز سبب خسارة المجلة إلى هذه الظاهرة، فلا يقتني الواحد منهم عددا، بل يتحول العدد إلى أشخاص عديدين، وهذه هي الأسباب التي تعرضت لها المجلة بالخسارة.

أما أصحاب حرف العين (ع) فكانوا عبدالله الحاتم وعبدالله سنان والشاعر الشعبي عبدالله الدويش وهم ثلاثة من الطرفاء العبادلة، وأشهرهم في الطرافة والمرح في الشعر الفصيح والعامي الشاعر عبدالله سنان، ومن القصائد الطريفة التي نشرها في مجلة «الفكاهة» [1] العدد الثاني ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠، ونشرها باسم «ع» وهو الحرف المشترك كما ذكرنا بين أقطاب كتاب المجلة الثلاثة، قصيدة هي محاكاة لقصيدة صفي الدين الحلي المعروفة التي مطلعها:

---

(١) مجلة الفكاهة ١٩٥٠/١٠/٢٧ .

سل الرمـــــاح العـــــوالي عن مــــعــــاليـنـا
واســـتـــشـــهـــد البـــيض هل خـــاب الرجـــا فـــينا

ومحاكاة سنان هي:

سـل الـدجـــــــاج الـعـــــــوالـي عـن أيـاديـنـا
واســـتـــشـــهـــد «البَـــيض» هل خـــاب الرجـــا فـــينا

ويقصد هذا البيض بفتح الباء وليس كسرها بمعنى السيوف.

وفي العدد السابع انسحب الأديب فرحان راشد الفرحان الذي كان المرجع الأدبي واللغوي في المجلة، وبدا القلق يرتسم على تعابير الحاتم الصحافية عندما وجد نفسه يتحمل وزر متاعب المجلة وحده، واستمرت المجلة إلى العدد التاسع ثم توقفت، ولم يستسلم الحاتم ولم ييأس، بل راوده الأمل - بعد توقف طال أمده - أن تظهر المجلة لتواكب التطور الصحافي، خاصة أنه عزم على إصدارها في موطن الصحافة ومركز صناعتها في الوطن العربي دمشق.

صدرت المجلة بعد توقف دام ثلاث سنوات في دمشق في ١٩٥٤/٧/٢٠، وحمل العدد الجديد رقم عشرة، واتسع نطاقها الثقافي كما اتسعت الآفاق السياسية تأثرا بالجو السائد في سوريا، وضمت أيضا صفحات فنية تناولت أخبار الفنانين العرب وأفلامهم، وحلت الطرفة والنكتة الغربية المأخوذة من الكتب المترجمة إلى العربية، وضاق أفق الفكاهة العربية وطرائفها، واتسع أفق اللغة العربية والشعر الفصيح من التراث الأدبي وما تردده المحافل الأدبية في تلك الفترة، ودخلت المجلة الإعلانات التجارية وانحسر الطابع الكويتي، وتفاعلت الجريدة مع أحداث سوريا ومصر والاتحاد المرتقب بينهما إلى أن تمت الوحدة الشاملة بين القطرين.

وظهرت في المجلة دراسات أدبية كتب فيها الأديب اللبناني الساخر مارون عبود مقالة بعنوان: «ويسألونك عن الساعة»، واختفت الأقلام الكويتية.

وانحسر موضوع الفكاهة لتأخذ المجلة أبعادا ثقافية وأدبية من أقلام عربية سورية ولبنانية، وتمكن الأستاذ الحاتم من أن يستقطب الإعلانات التجارية الكويتية لتعين المجلة على أعبائها المادية، كما استقطب بعض أدباء العرب المعاصرين لتلك الفترة من أمثال الشاعر شفيق معلوف، والشاعر عبود الكرخي والكاتب فؤاد صروف.



أورد الباحث في كتابه «عبدالله الحاتم» الفصل الخامس، صفحة تحمل هذه العناوين: مؤلفاته التاريخية بصيغة الجمع، وأورد اثنين من الكتب هما:

١- من هنا بدأت الكويت.

٢- كنت أول طبيبة في الكويت.

ولو كان المؤلف الثاني له لنسب إلى الأستاذ الحاتم بأنه هو أول طبيبة في الكويت، وكان على الكاتب والباحث للمنارة أن يغير عبارته الأولى (مؤلفاته) بصيغة الجمع، وهما كتابان فقط الأول هو من تأليف الحاتم فقط، أما الثاني فهو من تأليف «اليانور كالفري» وأشرف الحاتم فقط على ترجمته. والكتاب الثالث «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» فهو كما قال عنه صاحبه في غلافه تحت العنوان الرئيسي «لجامعه وملتقطه عبدالله خالد الحاتم» لم يذكر أنه من تأليفه، وعاد الباحث في منارة الأستاذ الحاتم ليقول في الفصل الرابع: إن كتاب المؤلفة السيدة اليانور كالفري الأمريكية ضمن مؤلفات الحاتم، والكتاب الثالث الذي هو «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» لم يقل عنه صاحبه إنه تأليف، بل وضع على الغلاف هذه العبارة «لجامعه وملتقطه عبدالله الحاتم»، فبناء على ذلك لزم ذكر هذه الملاحظة.

والملاحظة الثانية أني وجدت خطأ كبيرا في عنوان كتاب «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» ولا يجوز أن يعرف المضاف «شعر»، أما المضاف إليه فطبيعي أن يكون معرفا بالألف واللام.

ورد ذلك في الجزأين الأول والثاني وفي الطبعتين الأولى والثانية، وجاء في البحث صفحة ٣٠ السطر الأخير نقلا عن الأصل في حديث الأستاذ الحاتم عن كتابه «من هنا بدأت الكويت» أثناء حديثه عن الكويت تحت عنوان «الكويت قبلة العلماء» هذه العبارة:

أما حاضرها، فالكويت قطعة من الوطن العربي الكبير، ثم ضَمَّن الشاهد، وهو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقد ورد هكذا: «بالحمى والسهر» بدلا عن السهر والحمى.

وهناك رواية ثانية للحديث الشريف كما يلي:

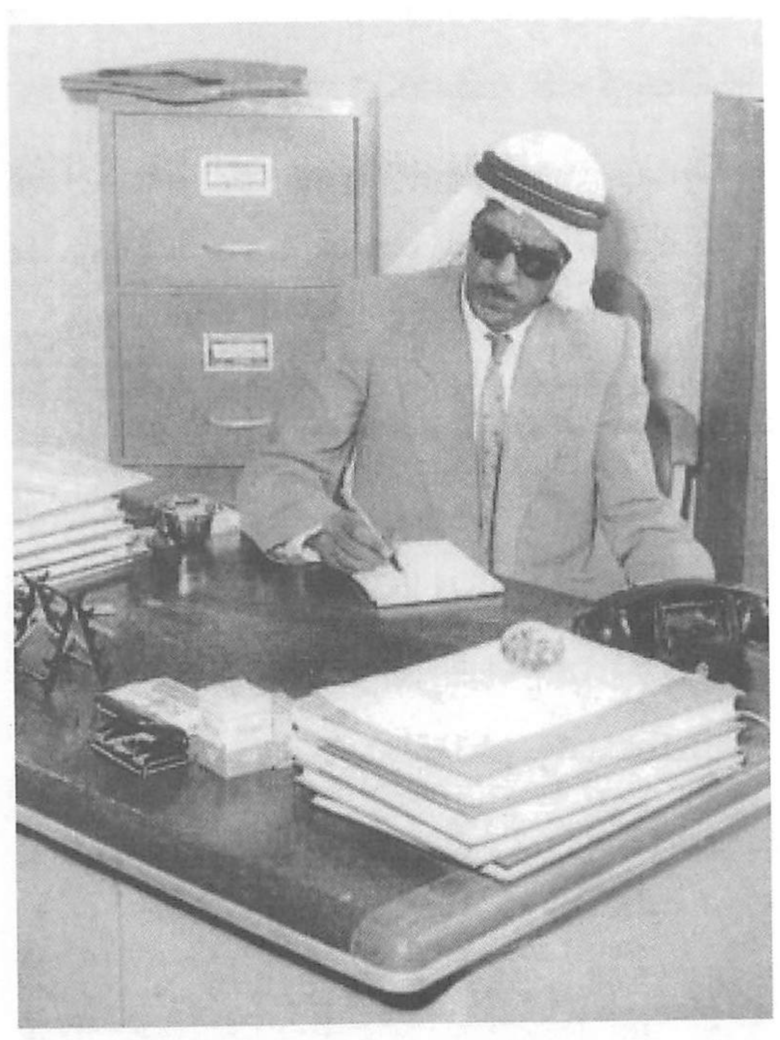
«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (البخاري رقم ٧٨).

وكان على الباحث أن يشير بملاحظة هامشية إلى خطأ النص أثناء الاستشهاد به. وعلى أي حال فإن بحث الأستاذ خالد جاء وافيا وشاملا عندما رصد نشاط الأستاذ عبدالله الحاتم الثقافي، خاصة في متابعته لسير أعداد مجلة الفكاهة أثناء صدورها في الكويت ودمشق، وما بذله من جهد كبير في بحثه هذا.

تحية للمرحوم عبدالله الحاتم وأخرى للباحث الزميل خالد سالم محمد، وتحية إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب على إحياء سير الأدباء ورجال الثقافة في منارات مضيئة مشرقة.

ملحق الصور

١- مجلة الفكاهة



الأستاذ عبدالله الحاتم في مكتبه بوزارة الإعلام في الستينيات من القرن الماضي (الصورة مأخوذة عن كتاب شخصيات كويتية للأستاذ عادل العبدالمغني).



غلاف العدد الأول من مجلة الفكاهة

رئيس التحرير
فرحان راشد الفرحان
المراسلات
باسم رئيس التحرير
دار الفكاهة
المطبعة الأهلية ـ الكويت

الفكاهة

مجلة فكاهية اجتماعية

نصف شهرية

صاحبها المسؤول
عبدالله الخالد الغانم

العدد الذي تقرؤه ظاهر | الشهر الذي راح نصه | السنة التي نحنا فيها

ابتسم للحياة

ان هذه الحياة التي نعيش في محيطها مزيج من الالام والشقاء وفيها كثير من المتاعب كما أن فيها كثير من المسرات والافراح ، وربما كانت متاعبنا أضعاف أفراحنا ومسراتنا .

لقد قيل ان الانسان خلق للشقاء والاجهاد المتواصل في هذه الدنيا ، وقد لا نستبعد صحة هذا القول لو تأملناه مليا ، وفكرنا في حياة البشر على اختلاف طبقاتهم لوجدنا أن الملك والتاجر والموظف والعامل وكل شخص من الاشخاص يكافح في معترك هذه الحياة بما أوتي من جهد وطاقة لبلوغ غاية والوصول الى هدف معين ، فالملك في شئون مملكته ورعاياه والأمل الذي يراوده هو سيادة العالم أجمع والتاجر في شئون تجارته يعاني متاعب الجهد في طموحه ويقلقه التفكير المتواصل في أعمال تجارته فكلما راجت طالب المزيد وتضاعفت رغباته وكأن آماله جحيم يهوى المتاعب كلما عاطفها «هل امتلأت» أجابت «هل من مزيد» أما الموظف الذي يعتبر في عرفنا يشكل الطبقة الوسطى في المجتمع فهو في وظيفته يعاني متاعب الاعمال المرهقة ويتطلع دائما الى الزيادة وأما العمال على اختلاف طبقاتهم والذين يشكلون الدرجة الثالثة في المجتمع فهم في كدحهم الشاق ومتاعبهم الكثيرة الجمة والسعي المتواصل في طلب الرزق والعيش وهم اشد ما يكونون شوقاً الى حياة الترف والجاه إذن نحب كلنا الحياة ونأبى ان نخفف وطأة متاعبها وآلامها .

وليس اهون على المرء من معالجة مثل تلك البوادر الطارئة التي تداهمه في كثير من الاحيان وفي اوقات احب اليه أن تكون زاخرة بالمباهج والمسرات ولكن شاء الظروف القاهرة ان تكون أشد ما تكون من القساوة فتخلق له همّاً كلاً هو بمنأى عنها بل ولا يدري كيف حصلت ولماذا .

افتتاحية العدد الأول

رئيس التحرير
فرحان راشد الفرحان
الراسعوت
باسم رئيس التحرير
دار الفكاهة
الشعبة الأهلية ـ الكويت

الفكاهة

مجلة فكاهية اجتماعية
نصف شهرية

صاحبها المسئول
عبدالله الخالد الحاتم
رقم الهاتف على ابـوش
الاشتراكات
عن سنة وعاء من الله ليلة القدر
لستة أشهر خمسة عشر ركعة كل يوم

العدد بالفلوس ➤ الشهر ثلاثون يوم ➤ السنة اثنا عشر شهراً

متاعب

ما كاد العدد الأول من هذه المجلة يخرج الى الوجود وابدأ في تبويب العدد الثاني حتى وجدت الأوضاع اخذت تتبدل رويداً، أجل منذ ذلك الحين بدأت تراجعني ازمات مضحكة بل وتكاد تكون محزنة من حيث، لقد كانت عاداتي وطباعي في المنزل ارق الخارج امام الأصدقاء والزملاء سمت ووقار وحشمة قريبة الى الخجل والحياء، واخيراً بدأت افقد الثقة في نفسي على السيطرة عليها والتمسك بتلك الطباع بحيث تعددت وكثرت مواقف الحرجة التي لم أكن اتعودها من قبل ولا انكر بأني لم اخجل في كثير من الأحيان بالشتم القارص على الساعة التي عرفتني بمجلة الفكاهة

عدت يوماً الى المنزل وكنت منهوك القوى فاستقبلتني والدتي بابتسامة عريضة لم اعهدها من قبل، حدثتني نفسي بأنه لابد في الأمر مايبعثها على الفرح والضحك ولم انتأ ان اعتمر نفسي هذا الاستفهام تاركاً لها فرحها منشغلاً بشأني غير انني لاحظت اكثر من ذلك حيث اخذت تتابع خطواتي وتسير خلفي اينما سرت وهي غارقة بضحكها فداخلني العجب من امرها وسألتها عما لم بها فقهقهت وقالت :ـ هيا تحدث! فقلت ـ وماذا اقول؟.. اجابت: (هات نكتة) فما كان مني الا ان قهقهت بصورة نسيت معها وقاري المعهود وكان ضحكي بدافع من الألم لا من البهجة.

اني اينما سرت وفي اي مكان حللت اجد بعض الوجوه تبتسم تقهقه بصوت مسموع فيداخلني تلك اللحظة ضيق وحزن حيث اتصور بأن في هيأتي أو ملابسي ما يثير اهتمام الناس، وإلا فم هذه الابتسامات الموزعة في كل مكان، ولا الحق بأنه من جراء ذلك

— ٢ —

افتتاحية العدد الثاني

رئيس التحرير
فرحان راشد الفرحان
المراسلات
باسم رئيس التحرير
دار الفكاهة
الكويت

الفكاهة

مجلة فكاهية اجتماعية
نصف شهرية

صاحبها المسؤول
عبدالله [illegible]
[illegible]
الاشتراكات
[illegible]

العدد [illegible] ◄ [illegible] ► [illegible]

تضحكني الصحافه

غير خاف علينا بأن الصحافة لسان الشعب الناطق وعنوان نهضتها، وكفانا دليل قاطع على ذلك مكانتها التي تبوأتها في هذا العصر الحديث «صاحبة الجلالة الصحافة» وأما تأثيرها فعظيم للغاية وقد قال عنها نابليون الاول: اني أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة الف مقاتل

أجل تضحكني الصحافة في بلادي فقط لأني أراها تحتضر دائما من الجرح وظهورها مرة آخر مأمول فيا بعد، ولكنها مازالت توهم الناس بإحساسها بأنها ستعيش

أضحكتني هزءاً وسخرية الأمس الماضي ان تطبع نسخة واحدة لكل عشرة أشخاص ورأى العشرة الا ان يشتركون في قراءتها عشرة آخرين

وأضحكتني في المرة الثانية مرارة وألماً لا سخرية وهزءاً عندما شاهدت مطابعها تنتقل طريحة من مطبعة الى أخرى وفوق ذلك لم تستطع الصمود في ميدان مسابقتها التي توجت النضج والكمال بل أدبرت تجر أذيال الخيبة الى ميدان آخر خارج البلاد

وأضحكتني في المرة الأخيرة [illegible] على القراء الذين يدعون ويعترفون بأن صحافتنا متأخرة وعلاتها بارزة، وعند ما أنكر [illegible] أحد ان القراء هم المتأخرون وهم المسؤولون عن هذا الجمود، فلو حاول كل شخص اقتناء مجلة واحدة وقرأها وحده لاستطاعت صحافتنا ان تتقدم بخطوات واسعة وسايرت ركب شقيقاتها العربيات في مضمار التقدم والرقي، فأصبحوا رحمكم الله من الحظ منها لكي تتغالب عليها الناس الموت واحدة تلو الأخرى وهكذا دواليك [illegible] وكأنها يا صبر لا رحمة ولا حياء.

ان الكويت اليوم غيرها بالأمس، فكويت الأمس كانت تزرح خلف ستار كثيف بأعباء الجهل وكويت اليوم لها مركزها الذي يجب أن تساير به ركب الزمن ويجب أن يتردد اسمها

افتتاحية العدد الثالث



غلاف العدد السابع من الفكاهة

الفكاهة

نصف شهرية

(انا وين والفكاهه والصحافه وين)

« راسي بي له كاغد جام نمره ٣ »

افتتاحية العدد السابع



غلاف العدد ٧٦ من الفكاهة الصادر بتاريخ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٧

...ة اجتماعية انتقادية فكاهية

تصدر شهرية مؤقتاً



العدد : ٦٩

السنة الثالثة

١٥ ذي القعدة ١٣٧٦

و ١٣ حزيران ١٩٥٧

غير مسؤولة عن الذين يموتون من الضحك

كيف تغدو الهادىء الطبع

ليس من الاسرار ان الطبع الهادىء يسهل امور الحياة، ...ب صاحبه الى الناس ، وان الطبع الشرس يجلب التعاسة ...متاعب ويبدد طاقة النشاط التي نحتاج اليه في كفاحنا اليومي ...سيء علاقاتنا مع الناس ويخلق لنا الاعداء، وها نحن في هذا ...ال نقدم بعض النصائح التي تفتح امام المرء الباب الذي ...ج منه الى رياض الهدوء والاطمئنان :

ابتسم ... للاغبياء والحمقى ، فاذا ازعجوك ، ...تعد عنهم ، واعتبر نفسك انك لم ترهم ولم تسمعهم .

اضحك من النكتة التي تقال لك ، وان لم يكن فيها ... يضحك ، وان هذا التظاهر البسيط يرضي من يعرض ...بك بادرته ويحببك الى نفسه .

بادر الى الاعتراف بخطأك اذا اخطأت ، فان عدم ...عتراف لن يستطيع ان يزيل خطأك كما تظن ، بل هو ...يضع مقامك امام سامعك .

امتنع عن الاهانات التي تقدم اليك ، فانك انت لاتعرف ...ب الذي حدا بالمسيء اليك ان يفعل فعلته ، فقد يكون ...قهوراً ، او قد يكون مضطراً الى مافعل دون ان يدري .

لاتتململ من طول الانتظار ، اذا شاء صديقك ان يؤخرك ، فضرب ميعاداً لك واخلف فيه . ولا تنس ان المقاهي كثيرة في الطرقات والشوارع .

حاول ان تكبح انفعالك عندما تكون متضايقاً ، فانك ان فعلت ذلك ، ستشعر بعد فترة قصيرة من الوقت انك مرتاح في نفسك وفي جسمك .

قابل بالبشاشة كل شخص ، حتى ولو كان الشخص الذي سبق له ان اهانك وتعالى عليك .

جرب ان تفهم الناس - لاسيما المحتاج منهم - بما تستطيع اليه سبيلا ، فقد يرسل الله من ينفعك حين الحاجة .

جرب ان تعمل كل هذا ، وقد تجد صعباً في اول الامر ، ولكنك ستعوده ، وستتحقق بعد ذلك ان الحياة جميلة ، واجمل مافيها ان تكون حلقة نافعة باسمة في سلسلة الانسانية .

الفكاهة صفحة - ٣

افتتاحية العدد ٦٩ من الفكاهة



الفكاهة

فرقة موسيقى جيش الدفاع الكويتي
وهي تعزف بعض القطع الموسيقية

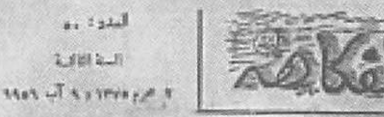
غلاف العدد ٦٧ من مجلة الفكاهة التي صدرت في سورية في منتصف الخمسينيات.
إهداء الأستاذ الباحث عادل العبدالمغني

نصف شهرية مؤقتاً

العدد: ٥٠

السنة الثالثة

٢ محرم ١٣٧٦ و ٩ آب ١٩٥٦



علينا ان نقوي انفسنا بالعلم

تعددت الوان الثروة ، وانفتحت ميادين الكفاح البشري بحيث اصبح الاختصاص عاملا من اهم عوامل النجاح والفوز . وكان من نتيجة ذلك ان لم يعد مقتصرا على ان يصبح المرء طبيبا عاليا ، وانما امتدت فروع العلم فشملت الكهرباء والكيمياء والزراعة والصناعة وغير ذلك من الفنون والحرف .

وكان من جراء ما تقدم ان البلاد التي تريد ان تتقدم في ركب الحضارة والمدنية لا بد لها من ان توجد لها اختصاصيين في سائر فروع العلم . وقد رأينا ان بلادا كثيرة في العالم اصبحت الان تشهد آثارا لتعتمد على طلابها المتخصصين في كل شيء الا في الحقوق والا في الطب .

وليس معنى ذلك انها استغنت عن هذين الفنين بل لانها احست بضرورة غيرهما من العلوم .

ولا بد لنا نحن في العالم العربي عامة ، وفي بلادنا بصفة خاصة ، اذا اردنا ان نحرز قصب السبق في المضامير التي تصر عليها ان نوجد المدارس الاختصاصية في الزراعة والصناعة والكهرباء والكيمياء والهندسة والميكانيكية وما الى ذلك من هذه العلوم .

يجب علينا ان نقوي انفسنا بالعلم على شرط ان لا نقتصر في العلم على الطب والحقوق .

يجب علينا ان ننشئ المدارس العالية الصناعية الاختصاصية لتخرج لنا من الاختصاصيين ما يمكننا به ان نستغني عن الاختصاصيين الذين نستقدمهم من الغرب ومن الشرق ولا نحرم بلادنا من ان نهيئ لها اجانب عنها ، لا يهمهم الا احراز الراتب الذي ينالونه .

ان الكويت البلد الذي قد جمع المجالات في الميادين التي يحتاج اليها ، وهنا مجال واسع للبترول الكامنة الكبيرة في ارضنا .

انا نريد الا يمر الا وقت قصير حتى نرى بين ظهرانينا المتخصصين في سائر فروع المعرفة التي باتت اليوم من اركان التقدم في البلاد .

فيسد بكويت قطرنا العزيز — الكويت — في طليعة البلدان العربية اخذا بهذا السبب القوي من اسباب القوة !

تأثير الخرافات

للخرافات تأثير كبير على بعض البسطاء من الناس ، ولا تكاد تخلو بلد او امة من الامم من مثل هؤلاء البسطاء ، وفيما يلي نماذج لبعض هذه الخرافات في عدد من البلاد :

في امريكا : اذا وقعت على ارض البيت قطعة من الخبز فهذا ايذان بقدوم زائر .

وفي اليونان : لا يرضى احد ان يقرض جاره شيئا من الملح لان هذا يعرض لوقوع النزاع .

وفي ايطاليا : اذا وقع على الارض كوب من ماء وتهشم عد هذا بشيرا بالشفاء العاجل للمريض ، ويحرص كل ايطالي على الا يقلم اظافره ليلة سفره او على الا يقلمها في الطريق اي وقت ، اعتقادا بأن هذا يجلب الحظ والفلاح .

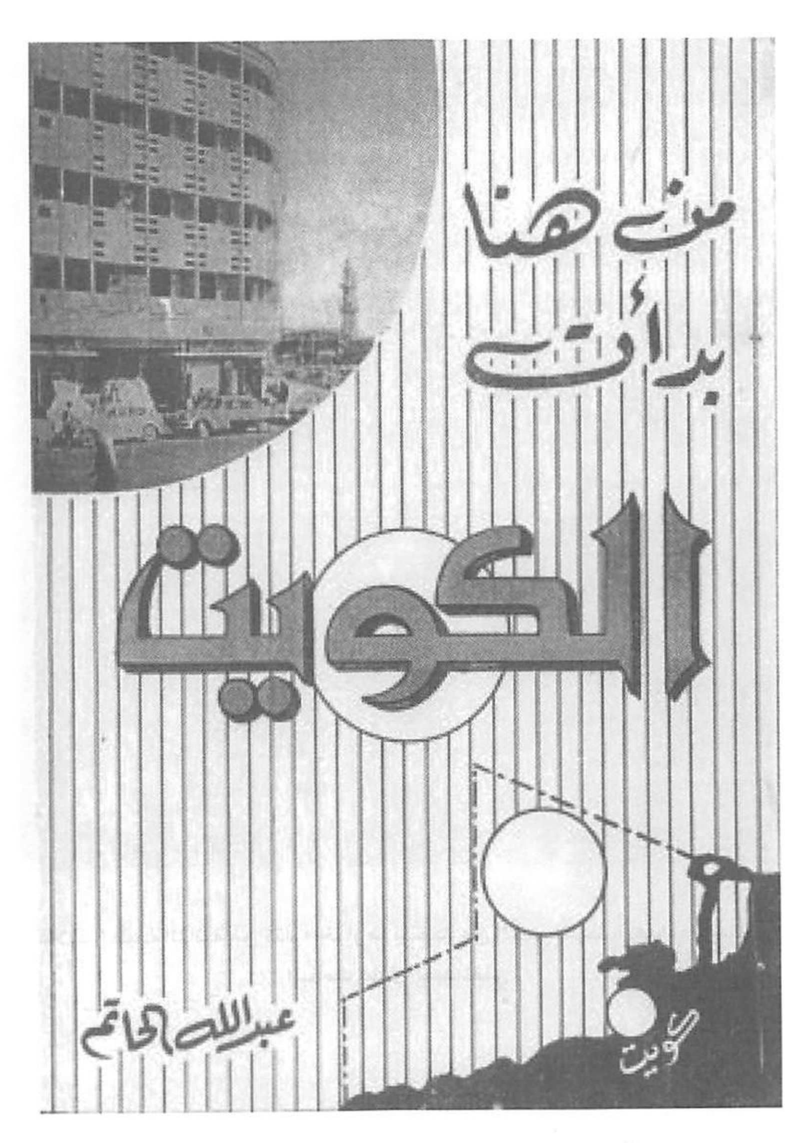
وفي الهند : تحرص ربة البيت على الا تضع مكنسة ملقاة على الارض مستندة الى الحائط ، لان هذا يوقع الشقاق بين الاسرة .

افتتاحية العدد ٥٠



أحد أغلفة الفكاهة في الخمسينيات، إهداء الأستاذ الباحث صالح المسباح

٢- أغلفة الكتب



غلاف الطبعة الأولى من كتاب «من هنا بدأت الكويت»، إهداء الأستاذ صالح المسباح



خيار ما يلتقط . من الشعر النبط

الجزء الثاني

خيار ما يلتقط . من الشعر النبط

الجزء الاول

غلاف الطبعة الثانية من كتاب «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، إهداء: الأستاذ الباحث عادل العبدالمغني



غلاف الطبعة الثانية من كتاب «من هنا بدأت الكويت» - ١٩٨٠

من الشعر النجدي

ديوان الشاعر

محمد العبدالله القاضي

جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه

عبدالله الخالد الحاتم

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

غلاف الطبعة الأولى من ديوان الشاعر محمد العبدالله القاضي

عبدالله خالد الحاتم الراحل دون وداع

في الأيام الأخيرة من شهر رمضان الماضي فقدت الكويت الأديب والمؤرخ والصحافي عبدالله خالد الحاتم الذي رحل دون وداع وبالصمت نفسه الذي اتسمت به حياته، فلم تشر أية جهة إلى وفاته فيما أظن، إذ لم تنعه وزارة الإعلام التي عمل فيها سنوات عدة تولى خلالها أرشيف الوزارة، ولم تشر إذاعة الكويت إلى رحيله بصفته الثقافية المعروفة، ولم تبث وكالة الأنباء الكويتية خبرا عن غيابه، ولم تتطرق الصفحات الثقافية في الصحف الكويتية لسيرته وعطائه في الوقت الذي تكتظ صفحاتها بأخبار من هم دون منزلته من الكتاب والمثقفين بلا شك.

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن هذه الأجهزة تعرف كتابها وأبناءها ومحرريها، وحين يغيب أحد منهم تسارع وكالات الأنباء فيها إلى بث الأخبار عن رحيلهم مع التعريف بهم والإشادة بدورهم، وهنالك تتلقف صحافتنا وأجهزة إعلامنا الأخرى تلك الأخبار وتنشرها كما وردت إليها.

أما رجالات البلاد ومثقفوها فيبدو أن العاملين في الإعلام الكويتي لا يكلفون أنفسهم مشقة التعرف عليهم.

والفقيد عبدالله الحاتم ليس أول من تجاهلته أجهزة الإعلام فقد رحل قبله الشاعر عبدالله الجوعان دون أن يشعر أحد برحيله وقد سمعت عن غيابه بعد حين مصادفة.

لقد أشرنا إلى هذه القضية غير مرة ودعونا إلى ضرورة احتفاظ الإذاعة والتلفزيون ووكالة الأنباء والصحف المحلية بأرشيف يضم سير أعلام البلاد بحيث يشار إلى رحيلهم وسيرهم كما نبهنا إلى أن هؤلاء الأعلام هم الثروة الحقيقية للوطن وهم الذين يمثلون وجهها المشرق ومكانتها الثقافية.

وقد يقول البعض إن هذا الأرشيف موجود لدى بعض الجهات، فأقول وما الفائدة إن لم يتم الرجوع إليه؟

وثمة اقتراح آخر أرجو أن يتولى المسؤولون في وزارة التربية دراسته، إذ من الملاحظ أن الجيل الجديد من العاملين في أجهزة الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والصحافة لا يعرفون أعلام بلادهم لأنهم لم يقرأوا عنهم، ولذلك قد يكون من المناسب تزويد تلاميذ المرحلة الثانوية ببعض الكتب التي تعرف بهؤلاء الأعلام، خارج المنهج الدراسي، مثل كتاب أدباء الكويت في قرنين للأستاذ خالد سعود الزيد الذي يضم طائفة كبيرة من أدباء الكويت وعلمائها.

وهذا التقليد كان متبعا من قبل فحين كنا ندرس في ثانوية الشويخ كانت المدرسة تهدينا بضعة كتب لا علاقة لها بالمنهج الدراسي الأمر الذي يجعلها محببة وشائقة ومنها كتاب يضم نصوصا شعرية من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي وآخر يضم فصولا في التاريخ والأدب وقد أثرت تلك الكتب معارفنا آنذاك ونمت لدينا حب الاطلاع.

وكذلك فقد كانت جامعة الكويت تتبع تقليدا جميلا وهو إهداء كل طالب مكتبة صغيرة يسهل وضعها في غرفة الطالب إضافة إلى مجموعة مختارة من الكتب وكان ذلك في عهد المرحوم د. عبدالفتاح اسماعيل.

وبعد، فقد تحمل الفقيد عبدالله الحاتم شظف العيش وشدة وطأة المرض في الفترة الأخيرة من حياته واتجه إلى سوريا حيث أجريت له عملية جراحية ولكن حالته الصحية لم تتحسن فعاد إلى الكويت واشتدت حالته في التدهور حتى لاقى ربه في العشر الأواخر من رمضان دون أن يشعر أحد بحجم معاناته وبحجم الخسارة بفقده.

والفقيد الكبير مصدر موثوق به في ما يخص تاريخ المنطقة وتراثها وبخاصة الشعر النبطي فضلا عن كونه أحد أعلام الصحافة.

وقد ضم كتابه القيم «من هنا بدأت الكويت» تأريخا لأوائل الأحداث في الكويت، إذ تطرق للحديث عن أول حاكم وأول مدرسة وأول مكتبة أهلية وأول شاعر وأول مستشفى.. وهكذا.

أما كتابه «خيار ما يلتقط من شعر النبط» فيضم طائفة من أجود النصوص الشعرية لكبار شعراء النبط في المنطقة.

أما جهوده في المجال الصحفي فتتمثل في إصداره مجلة «الثقافة» عام ١٩٦١، حيث كان يصدرها في سوريا ويوزعها في الكويت، والفقيد أحد مؤسسي رابطة الأدباء عام ١٩٦٤، وأول رئيس لتحرير مجلتها «البيان» التي بدأت في الصدور عام ١٩٦٦.

وللفقيد الحاتم مكتبة نفيسة وأرشيف يضم وثائق مهمة لذلك فإنني أقترح على الأجهزة المعنية في الدولة بأن تسعى إلى اقتناء تلك المكتبة وحفظها باسمه.

وبعد، فقد شاء القدر أن تفقد الكويت خلال الشهور المنصرمة خمسة من رجال الثقافة من شعراء وكتاب وباحثين وتلك خسارة كبيرة يصعب تعويضها، وهؤلاء الرجال الأعلام هم المرحومون الخمسة:

عبدالله أحمد حسين الرومي
عبدالله عبدالعزيز الدويش
عبدالله الجوعان
د. عبدالله العتيبي
عبدالله الحاتم

وقد جاء رحيل عبدالله الحاتم في وقت لم نفق فيه بعد من فجيعة الرحيل المفاجئ للشاعر الكبير والباحث القدير والإنسان النبيل والأستاذ المميز الدكتور عبدالله العتيبي.

د. خليفة الوقيان

المقالة الوحيدة التي كتبت في رثاء الأستاذ المرحوم عبدالله الحاتم، كتبها الدكتور خليفة الوقيان

عيون من الشعر النبطي

حمود الناصر البدر

الغزي بن عيد

حمد المبارك العقيلي

ابراهيم الخالد الديحاني

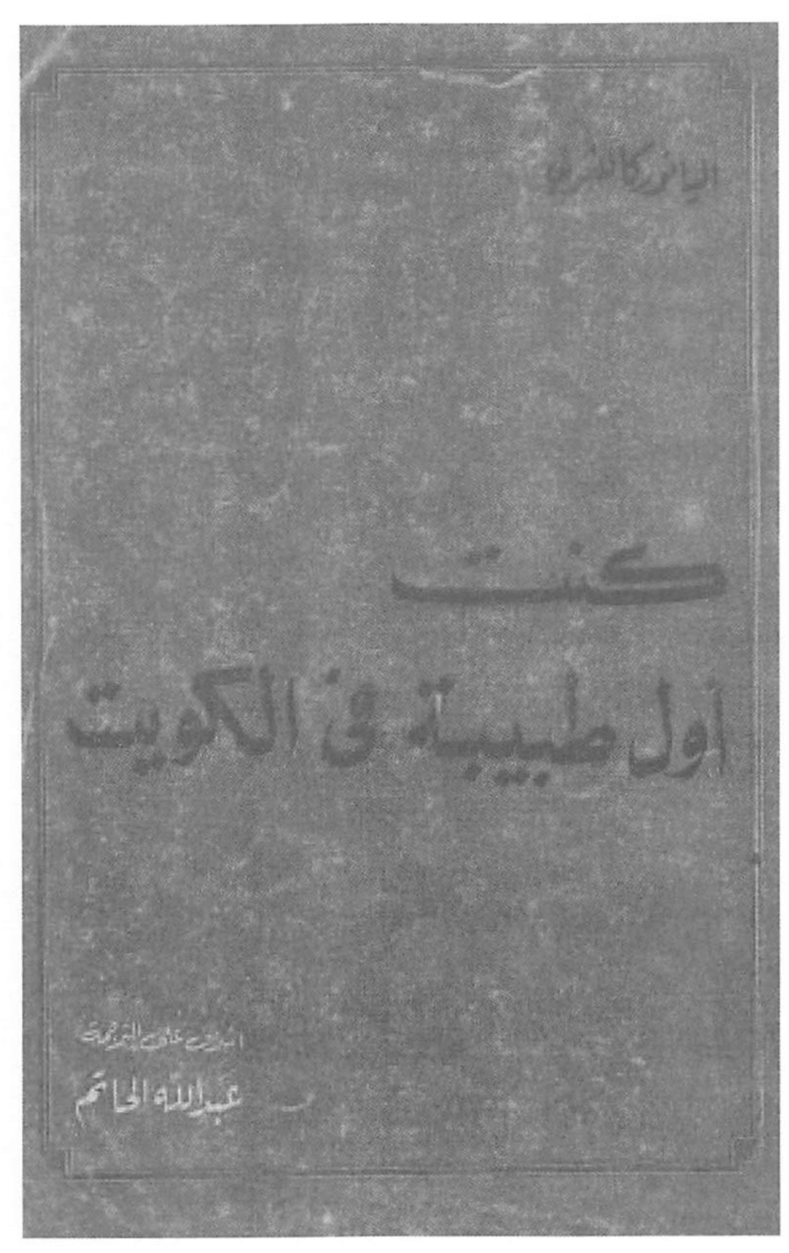
ابن صليبيخ

محمد الرشيدان بن جبارة

جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه

عبدالله الخالد الحاتم

غلاف كتاب «عيون من الشعر النبطي»



غلاف الطبعة الأولى من كتاب «كنت أول طبيبة في الكويت»

زيد الحرب
والعزف على أوتار الأمة

محاضرة: د. حصة سيد زيد الرفاعي

تعقيب: د. صباح السويفان

تحرير: غنيمة زيد الحرب

مقدمة

زيد الحرب

غنيمة زيد الحرب (*)

حين يُطلب منك أن تكتب مقدمة لكتاب ما فإن المهمة تكون سهلة، إذا كنت ملما بالموضوع من جهة، ومحبا له من جهة أخرى، ولكن ماذا لو كان الموضوع هو أنت، هل سيكون الأمر كذلك؟

لا أعتقد.

كلفت من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بكتابة مقدمة لكتاب «منارة زيد الحرب»، الذي يضم بحث الدكتورة حصة الرفاعي، بالإضافة إلى تعقيب الدكتور صباح السويفان.

وما أن أمسكت بالقلم، حتى تداعت الأفكار، وانهالت الذكريات، فاسترسلت في الكتابة ما كوّن شبه كتاب صغير، وليست مجرد مقدمة كما يجب أن تكون، وقد نبهني المسؤولون في المجلس إلى هذا الأمر، طالبين إعادة كتابة مقدمة جديدة.

وهأنذا أبدأ كتابة مقدمتي، بينما ستلتقي - عزيزي القارئ - بمطولتي (التي كان من المفروض أن تكون مقدمة) في نهاية الكتاب، وكأنني قد أبيت إلا أن أكون حارسة لمداخل المنارة ومخارجها.

وحتى لا أسترسل من جديد، سأكتفي بالإشارة إلى جانب من السيرة الذاتية لهذا الرجل، فيما يتعلق بحياته الأسرية، وهو جانب سبق أن أشرت إليه في الندوة التي أقامها المجلس في مقر رابطة الأدباء بتاريخ ٢٧ ديسمبر عام ٢٠٠٤، بعنوان «منارة زيد الحرب».

زيد الحرب الأب:

تعلمنا - شقيقتي وأنا - من الشاعر زيد الحرب الشيء الكثير، فقد غرس في رأسينا الصغيرين أفكارا جميلة عن العدل والمساواة، كقيمة مطلقة وكقانون

---

* حاصلة على ليسانس آداب، علم نفس من جامعة الكويت في العام ١٩٧٤.
بدأت منذ السبعينيات بنشر قصائدها ومقالاتها في الصحف اليومية.
أصدرت ٤ مجموعات شعرية هي: قصائد في قفص الاحتلال عام١٩٩١، وثلاث مجموعات اخرى في عام ١٩٩٣ هي: هديل الحلم، اجنحة الرمال، في خيمة الحلك.

يساوي بين فئات المجتمع وطبقاته، ومن ثم المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات - بما لا يتعارض مع التكوين الطبيعي لكل منهما - وترجم هذه التعاليم إلى سلوك واقعي تجاهنا، فلم نشعر قط بأننا أقل شأنا من الرجال، فقد كان متفتحا مستنيرا سابقا لعصره، فتح بيننا وبينه أبواب الحوار، وأعطانا من الثقة ما لم يعط لكثيرات في مثل ذلك الوقت، لقننا تعاليم الحرية الفكرية، وأتاح لنا حرية التعبير وحرية الاختيار، كما وفر لنا فرص التعليم في مرحلة مبكرة، ولم يكتف بما حقق لنا من سعادة وطمأنينة واستقرار، بل واصل العمل من أجل أن يوفر لنا مستقبلا أجمل، حتى اللحظات الأخيرة من عمره المديد.

ولهذا كله، لم يتولد لدينا هاجس المساواة بين الرجل والمرأة - ليس بسبب رفضنا لها - بل لأننا لم نشعر قط بالدونية، لكوننا إناثا، اعتاد المجتمع إدراجهن في ذيل التصنيف، بل على العكس من ذلك، كان يكرر على مسامعنا ما يؤكد قناعته بالمساواة بين الجنسين، وأتذكر فيما أتذكره في هذا الشأن، أنني حين نقلت له بشرى مولد أولى حفيداته، وكان ساعتها طريحا على فراش المرض في المستشفى الأميري، انبسطت أساريره، وعبر عن سعادته بجملة لم يبرح صداها أذني على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين عاما، حين قال: يا ابنتي إن ابنة شقيقتك أفضل عندي من ألف ولد.

بيت زيد الحرب

تخيل عزيزي القارئ بيتا صغيرا يضم أبا شاعرا، وأُما نثرت حبوب الحنان على بساط تحبو فوقه طفلتان رضعتا من المحبة والجمال، ما وفر لهما إشباعا حتى نهاية الرحلة.

يقول الشاعر زيد الحرب متغزلا بأسرته وببيته الجميل:

البارحة يا بدر شيٍّ جرالي
يوم أنا شفت من شوفة طريفه
التفت عن يميني وعن شمالي
وردتين من المهرة العفيفة
شوف «دسمان» وغيره ما طرالي
عن قعدة «الكشك» تغنينا الصريفة
لي حضرنا حكمنا ما نبالي
حكم «ديلي» في دار الخليفة

إذن يتباهى زيد الحرب بحياته البسيطة على أصحاب القصور، لما يجده من تناغم وسعادة، واستقرار في بيته الصغير.

مكانة المرأة في أدبيات زيد الحرب:

يجرنا الحديث السابق إلى الإشارة إلى مكانة المرأة عموما في أدبيات زيد الحرب.

لقد تغزل الشاعر، شأنه شأن الكثير من الشعراء بالمرأة، ولكنه لم يكتف بالإشارة إلى المرأة كائنا رقيقا جميلا، بل تعمق في نظرته إلى عقل المرأة ومكانتها في المجتمع، حين عبر في أكثر من قصيدة عن تفضيله للمرأة الصامدة القوية على كثير من الرجال حين يتخلون عن مسؤولياتهم تجاه أمتهم وقضاياها الحيوية، ففي قصيدة من قصائده الكثيرة التي تطرق فيها لقضية فلسطين، وللقدس بصورة خاصة يقول بعد أن أبدى يأسه من الرجال:

إن ما صمناهم على الخيل بطراد
ليم نسيد اللي على القدس سايد
يحرم علينا النوم والشرب والزاد
ويحرم علينا هدوم لبس جدايد
وإن ما فعلنا واعسانا للانفاد
وخلو الحكم إللابسات القلايد
بيضٍ تكيد بكيدها كل من كاد
أحسن من رجالٍ بليا فوايد

وفي قصيدة ثانية، وفي الموضوع نفسه أيضا، يقول:

يا البيض روزوا برايكم كل من راز
اخذوا شوارينا وسووا لنا خصور
هلبت تنالون السعد عند من فاز
وحنا لكم نسوان في داخل الدور
وإلا قلعونا من ورا حدود الأهواز
نسكن مع الأعجام في وسط شابور
هذا جزا منهو كسول وعجّاز
خلّه لعلّه دايم الدوم ما يثور

إذن، المرأة القوية الصادقة في مشاعرها تجاه القضايا العامة خير وأحب إلى زيد الحرب من الرجل الضعيف أو السلبي.

وكي لا أتجاوز مساحة «المقدمة»، اكتفي بهذا القدر، وستجد عزيزي القارئ في بحث الدكتورة حصة الرفاعي، وتعقيب الدكتور صباح السويفان الكثير من التفاصيل التي تناولت زيد الحرب الشاعر والإنسان.

زيد الحرب والعزف
على أوتار الأمة

الباحثة: د. حصة سيد زيد الرفاعي (*)

(*) - حاصلة على الدكتوراه في علم الفولكلور من جامعة إنديانا، ١٩٨٢.
- عضوة هيئة التدريس في قسم اللغة العربية - كلية الآداب، جامعة الكويت.
- لها مجموعة من المؤلفات التي تناولت الفولكلور، إلى جانب مشاركتها في تأليف العديد من الكتب.
- لها مجموعة من الأبحاث المنشورة في دوريات علمية مختلفة.
- عضوة في العديد من اللجان العلمية والأكاديمية.
- حاصلة على العديد من الجوائز وشهادات التقدير.

استهلال:

حينما تلقينا دعوة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لكتابة بحث عن الشاعر الكبير زيد الحرب بمناسبة إقامة منارة ثقافية له في مهرجان القرين الثقافي لعام ٢٠٠٤، سعدنا بهذه الدعوة لسببين: أولهما وعي المسؤولين بقيمة الشعر الشعبي وأهمية تكريم رواده.

وثانيهما أننا لا نجهل مكانة الشاعر زيد الحرب في الأدب الكويتي المعاصر، فقد استشهدنا ببعض أبيات قصيدته المشهورة «عسر الدهر» في كتابنا «أغاني البحر، ١٩٨٥».

ومع ذلك لم تتوافر لنا فرصة الغوص في أعماقه والكشف عن توجهاته الفكرية إلا بالاطلاع على مجمل قصائده التي تكرمت ابنته الشاعرة غنيمة زيد الحرب، مشكورة، بجمعها في ديوان يحمل اسم الشاعر صدر عام ١٩٧٨، قدمته بنبذة عن حياته ورحلة كفاحه الشاقة في توفير لقمة العيش. ذلك الكفاح الذي على رغم قسوته لم يشغله عن إبداع قصائد جميلة عابقة بالصدق زاخرة بالحب والولاء لوطنه الكويت ولأمته العربية.

فالناس في الحياة نوعان، نوع يشغله شأنه الخاص عن الدنيا، ويختار العيش على هامشها مكتفيا بالفرجة، ونوع تشغله الدنيا بحلوها ومرها وضجيجها، فيجعل من قلبه وعاء لآلام قومه، ومن أحلامه المثلى صوتا يرتفع في وجه الظلم والقهر والاستبداد.

وقد اختار زيد الحرب أن يكون من هذه الفئة، فلم يقف متفرجا على ما يدور في مجتمعه من انحراف وما يعتري أمته من تخاذل وهوان، بل اختار سبيل التصدي للظاهرة السلبية، ومواجهتها بقلبه وشعره بشجاعة وإصرار قلما يتوافران لغيره من الشعراء.

وما عدا ديوان الشاعر، وبعض الإشارات العابرة التي وردت ضمن

دراسات عامة عن الشعر الشعبي في الكويت، لم نعثر على دراسة وافية عن زيد الحرب.

وانطلاقا من إيماننا بأهمية البحث الميداني الذي يشكل حجر الأساس في الدراسات المعاصرة، وإدراكنا التلازم الحتمي بين الإبداع وشخصية المبدع على أنه من المفاتيح المهمة في الولوج إلى أغوار إبداعه واستنباط مدلولاته الفكرية، رغبنا في لقاء أحد أفراد أسرة الشاعر لكي نستكمل هذا الجانب. إلا أن ذلك لم يتحقق لظروف خارجة عن إرادتنا.

ومع ذلك، عولنا على خبرتنا الطويلة في مضمار الدراسات الشعبية، في استكناه الأحداث والوقائع التي شكلت محاور أساسية في شعر زيد الحرب، ما ساعدنا على تلمس أهم الملامح النفسية التي أمدت الشاعر بروافد إبداع لم تنضب حتى آخر دفقة من روحه الطاهرة.

حياته

لن نأتي بجديد في استعراض حياة الشاعر زيد الحرب التي قدمت بها ابنته غنيمة ديوانه، ولكننا نأمل في الكشف عن بعض السمات النفسية والفنية التي استنبطناها من ثنايا قصائده، والتي دلت على خصائص مميزة تفرد بها الشاعر الحرب، بل تفوق أيضا على غيره من شعراء الخليج والعالم العربي.

ومع ذلك، لا بد لنا من تقديم شذرات من سيرة الشاعر الذاتية تعيننا على تلمس تلك الملامح الواضحة في إبداعاته الشعرية. فالإبداع، كما أشرنا، لا يمكن بأي حال، فصله عن المبدع والظروف التي شكلت البذور الأولى لهذا الإبداع، علاوة على موهبة الفنان الفطرية.

ولد الشاعر زيد عبدالله إبراهيم الحرب عام ١٨٨٧. وعاش مع والديه وأعمامه في منزل جده، حيث كان الكويتيون، ما قبل اكتشاف النفط، يعيشون في نظام الأسرة الممتدة. وامتهن الغوص في بواكير شبابه مع والده وأعمامه في سفينة يملكها عمه عبدالعزيز الحرب. وكان على عادة البحارة الكويتيين، يسافر صيفا في رحلة الغوص على اللؤلؤ، ثم يخرج ثانية في رحلة أخرى شتاء للاتجار في البضائع بين موانئ الهند وأفريقيا.

وفي إحدى رحلات السفر التجاري مرض عمه فأوكل إليه قيادة السفينة. وحينما توفي العم دفن في اليمن. وانتقل الشاعر بعد وفاة عمه إلى العمل في سفن أخرى. وتولى قيادة إحدى سفن غوص الردة، والردة رحلة غوص قصيرة تعقب رحلة الغوص الكبيرة، ويمارس فيها الغوص في الشواطئ القريبة من الكويت (١). وكان الشاعر يتبادل نظم القصائد مع رفاقه في الرحلة.

وكان يسافر أيضا للاتجار في البضائع حتى في الظروف الصعبة وزمن الحرب.

وعندما أصبح وطنه الكويت مهددا من قبل الأعداء، شارك الشاعر في حرب الجهراء، وأسهم مع إخوانه الكويتيين في بناء سور الكويت لحماية البلد من الاعتداء الخارجي.

وبعد اكتشاف النفط وتوقف رحلات الغوص والسفر، عمل الشاعر في مجال التنقيب عنه.

وفي مرحلة لاحقة أصيب الشاعر بفقدان النظر (١٩٥٢)، ولكنه لم يفقد بصيرته المتوقدة دائمـــا، التي ندر أن تتوافر لدى المبصرين.

ونظم في ذلك أبياتا عبرت عن خيبة أمله بما أصابه وشعوره بالعجز الشديد، يقول:

ما تنفع الدنيا بلا شوف وعيان
وعزي لمن مثلي عيونه عصاته
اقعد أنا وأقوم ما بين نسوان
ولا يضفي المجمول على عباته
ومن أول لي جيت كالذيب سرحان
محد يامني أجي حول شاته
واليوم لو أرقد معاهم بليوان
ما يخاف مني لو أبات في مباته (٢)

واستمر الشاعر يجاهد بالكلمة المخلصة والحس المرهف، وينافح عن الحق سواء في وطنه أو خارجه. لم يفت العمى في عضده، ولم تنل العاهة من شريان إبداعه المتدفق بالعطاء.

وتعاورت المحن على الشاعر منذ فترة باكرة في حياته، ففقد زوجته الأولى التي رثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها:

يا مل قلب من تصاريف الاشطان
إن قلت هود زاد عيا يليج (٣)

وتزوج الشاعر مرة أخرى ولم يكتب له التوفيق. وفي المرة الثالثة رزق بولد توفي في العام الأول لميلاده، ثم رزق بابنتين كبراهما شاعرة وزوجة الشاعر المعروف يعقوب السبيعي، والثانية الشاعرة غنيمة زيد الحرب التي استقينا من كتابها سيرة شاعرنا الذاتية، وقصائده المؤثرة.

وتمضي الحياة بالشاعر زيد الحرب وهو يصارع بشعره قوى الظلم، ويكشف عن مواطن الفساد التي أودت بمجد العرب وأدت إلى خذلانهم. ولكنه لا يفقد إيمانه بحدوث معجزة تصلح أحوالهم وتعيد إليهم العزة والسؤدد. ولا يقف الشاعر عند حد الأمنيات، بل يدلهم على طريق الصلاح الذي يبلغونه باتحادهم في وجه المعتدين والطامعين.

واطلب من المعبود ينزاح الغمام
ونتولف كل حبيب مع حبيبه
هذا إن صفا العراق مع مصر والشام
واجتمع الحجاز ورياط المغيب

والعـــــرب تحكم وتضــــــفي بالكمــــــام
ونطرد الصـــــهـــــيـــــون مع أهل الصليب
هــذا هـوى بـالــي وشــــــــــفـي والمـرام
وكل علة تبـــــرا وأنـا جــــــرحي يطيب (٤)

وقد استشهدت الباحثة غنيمة الحرب بهذه الأبيات للدلالة على أمل الشاعر في تحقيق الوحدة العربية التي لا تأتي من دون نضال وكفاح.

ونلاحظ اتجاه الشاعر نحو التوحد مع الحديث الذي يتناوله في قصيدته. وعلى الرغم من أن ذلك الحدث لا يعدو كونه أمنية يسبغ عليها الشاعر سمة الواقع، فإنها تبدو أمرا سهل المنال.

إن القارئ يشعر بالفرح والتفاؤل وهو يتابع إحساس الشاعر بالبهجة، ويلمس غبطته بالحلول التي يطرحها، والتي سوف تسعده وتشفي جراحه. وغالبا ما يؤدي ذلك إلى الامتزاج بين الأنا والنحن. وهذه سمة بارزة في شعر زيد الحرب سوف نناقشها فيما بعد.

وعلى الرغم من أمية الشاعر زيد الحرب، فإن إبداعه الشعري يدل على ثقافة واسعة وذكاء حاد متوقد في تحليل المشكلات الاجتماعية والسياسية، وطرح الحلول العقلانية المناسبة، على ضوء الواقع المعيش. فالوحدة العربية مثلا مرهونة باتفاق الرأي العام العربي ونبذ الخلافات بين الحكام، والتفكير في مصلحة الوطن العربي وصونه من الاستغلال الأجنبي، وهذا لا يكون إلا بالحرب والجهاد وعدم التخاذل والتفاوض مع العدو.

ويتمثل الشاعر بحوادث تاريخية وشواهد بطولية تدل على معرفة عميقة بالتاريخ العربي الإسلامي، ثقفها الشاعر مما سمع ووعى من روايات حفلت بها ذواكر الرواة، وضمتها بطون الكتب والمدونات. وعلى الرغم من أن وسائل الإيصال آنذاك كانت مقصورة على المذياع وبعض المطبوعات المستوردة، فإن الاهتمام بالثقافة والحرص على متابعة مجريات الأمور كانا سمة غالبة في زمن عزت فيه روافد المعرفة.

ومعلوم أن الشاعر زيد الحرب كان، كما أغلب الكويتيين، بحارا يصطاد اللؤلؤ ويجوب البلدان المختلفة للاتجار فيه وفي غيره من البضائع. وكانت أسفاره نافذة مشرعة على ثقافات الشعوب الأخرى، إضافة إلى حرص ربابنة سفن السفر التجارية على اصطحاب رواة القصص والسير المعروفين باسم «المسولفجية: جمع مسولفجي». وكانت الغاية من ذلك تنظيم نوبات

الحراسة على ظهر السفينة. فالراوي يساعد البحارة على البقاء مستيقظين، يتابعون بشغف ما يردده من حكايات تاريخية ودينية، وسير بطولات مستقاة من التراث العربي، وهذا في حد ذاته مصدر مهم من مصادر الثقافة في مجتمع البحارة، علاوة على ترديد الحكم والأمثال وسرد التجارب الشخصية والمغامرات والأهوال التي يتعرض لها البحار وهو يمخر عباب المحيطات، ويصارع الأمواج العاتية على ظهر سفينته الشراعية الصغيرة (٥).

هذه العوامل جميعها ساعدت، إلى حد كبير، على اتساع مدارك الشاعر وإثراء حصيلته من المعارف التي أفادته في صياغة أشعاره العميقة، ولا نغفل ذكاءه الشديد ورهافة حسه وإخلاصه اللامحدود لوطنه وعروبته، مما حدا به إلى توظيف كل إمكاناته الثقافية وطاقاته الشعرية لهذا الغرض النبيل.

يقول في قصيدة «قل هو الله أحد» حاثا العرب على مجاهدة الأعداء كما فعل أجدادهم الأولون:

قل هو الله أحد
خالق الأرواح في وسط الجسد
الواحد المعبود عالي في سماه
مقسم الأرزاق ما ينسى أحد
ثم صلاتي على النبي سيد قريش
الذي للدين بمر الله اجتهد
طيعوا المختار وما قال الرسول
واشهدوا له الحق فيما هو شهد
وامسكوا القرآن وآياته الشريف
والعنوا من خان بآياته وجحد

إلى أن يقول ناصحا العرب بالتوحد والجهاد من أجل الاستقلال والحرية:

يا عرب قوموا بعزم الله سوى
أنتم ليوث الحرب وافين العهد
واربطوا حبل الوصل ما بينكم
في صناجلها وحبل من مسد
ما يوخذ استقلال في طيب وهون
إلا بحد السيف لي حل الوعد

وأمـــهـــات أم خـــمـس مـــصـــقـــول الســـلاح
وفي أطواب الروس شـــدخـــوا كـــالرعـــد(٦)
ومـــا فـــعـل خـــالـد وطـارق بـن زيـاد
ومـا فـعـل حـيـدر وحـمـزة مع سـعـد
وســيـلـوا الـوديـان مـن دم الـعـدو
مـن دم قـوم الـسـبـت مـع قـوم الأحـد
وطـهـروا دياركـم مـن الـيـهـود
لـعـيـون صـافـي الخـد مـركـوز النهـد

ثم يقول محذرا إياهم من التخاذل والتفاوض مع العدو:

واعلمـوا كـثـر المفـاوض مـا يفـيـد
ومـجلس أمـريكا خـارب مـابه سـعـد
وافـعـلوا بافـعـال أبا بكر وعـمـر
واتركـوا كـثـر النمـايم والحـسـد
مـع ذه وسـلامي لـلعـرب كلـهـم يمـيع
سني وشـيـعي ومـسـيـحي ومن سـجـد..
والـوكـيـل الله مـا هـو أنا وكـيـل
كل على ديـنه ويلـقى مـا عـبـد ... (٧)

ويتبين لنا إدراك الشاعر الفرق بين نصارى أوروبا وأمريكا من المستعمرين ومسيحيي العالم العربي، ممن يجدر بنا أن نتعامل معهم على أنهم إخواننا في العروبة. وهو بهذا يلتزم بتعاليم الإسلام في احترام الديانات الأخرى.

ولا ريب في أن شاعرا كما زيد الحرب، رقيق الإحساس، نابض القلب بحب وطنه معتزا بهويته القومية، نذر حياته للدفاع عنها بكل ما يملك من أسلحة الشعر، لا بد أن يهوي مبكرا من صهوة إبداعه كما يهوي البطل في المعركة. ليس مهزوما فيها بل مخذول من قدر أقوى منه ومنا جميعا. أخرس صوت همته وحطم سيف يراعه المسلول، فقد مرض شاعرنا وغالب المرض لسنوات في شجاعة لم يستطع معها الداء أن يخمد جذوة مشاعره المتقدة أبدا، ولكن الأجل المحتوم وافاه في ١٩٧٢/٢/٢١ وهو يعد ابنته غنيمة بعقود من لآلئ شعره تنظمها في كتاب.

وغاب زيد الحرب، ولكن ذكراه العطرة تبقى خالدة في قصائد جميلة عابقة بحب الوطن والحرية والكرامة العربية.

وبعد سنوات قليلة، برت الابنة الوفية بوعدها، وأصدرت ديوانا يجمع بعض

شعر أبيها مما سمعت منه، ومما روى لها صحبه وعشاق شعره. ولكن بعض القصائد ضاع، باعتراف الابنة، في عالم النسيان، مع أن ما بقي من شعر زيد الحرب يظل شاهدا على موهبة قلما يجود بمثلها الدهر.

الشعر قيثارة زيد الحرب

زيد الحرب شاعر شعبي بكل المقاييس المتعارف عليها عالميا. ولا نعني بذلك نظم الشاعر قصائده الرائعة باللهجة المحلية. فالعامية ليست معيارا كافيا للحكم على شعبية النص، لأن للأدب الشعبي عموما والشعر الشعبي تحديدا خصائص تميزه عن سواه من أنماط الإبداع الإنساني. وتقوم هذه الخصائص على أساس قبول الناس للإبداع وتداوله، إذا ما وجدوا فيه تعبيرا صادقا عن نبض حياتهم ورؤاهم المستقبلية في عيش أفضل. ولا تقل الوظيفة الاجتماعية أهمية عن عامل القبول الجمعي، فالشاعر الشعبي لا يختلف عن غيره من الشعراء في تصديه لكل ما يعترض مجتمعه من محن وأزمات، بل إن شعره القريب من لغة الخطاب اليومي، أمده بقدر أكبر من المفردات يصوغ بها هموم مواطنيه، ويكشف عن أملهم في مستقبل أفضل. ولا ينال من شعبية النص الشعري كون الشاعر معروف الهوية طالما تخطت منظوماته دائرة الفردية الضيقة إلى موقع أرحب وأكثر شمولية، يؤهله لتبني قضايا شعبه المصيرية. وكلما نجح في مهمته ازداد احتفاء الناس به، وأقبلوا على التغني بإبداعه الذي يكتسب بمرور الزمن هوية قومية مميزة.

هكذا كان زيد الحرب، سواء فيما عالج من أمور حميمة متجذرة في نسيج وطنه وأمته، أو في أسلوب صوغ شعره وفق الأشكال الفنية الخاصة بالشعر الشعبي (٨)، علاوة على امتلاكه طبيعة شفافة أعانته على قراءة الأحداث واستكناه دلالاتها بفطنة ثاقبة لم تتوافر لشاعر آخر.

هذه القدرات الهائلة المقترنة بطاقات إبداعية ثرية، كفلت للشاعر التفوق على منافسيه.

أما الأغراض التي تناولها زيد الحرب، فلا تخرج عن نطاق الأغراض المتداولة في الشعر العربي سواء الفصيح أو العامي. وقد استعرضتها الباحثة غنيمة زيد الحرب في الديوان. ولا حاجة بنا لتكرارها. كما أن بعض قصائد زيد الحرب يتداخل فيها أكثر من غرض، حيث يمتزج المدح بالشكوى وربما يختلط ذلك مع النصح والإرشاد أو العتاب. والواضح أن الشاعر يتخذ من بعض

الأغراض مدخلا إلى قضية مهمة يطرحها سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية. وهذا ملمح بارز في قصائد زيد الحرب سوف نكشف عنه في معرض حديثنا عن خصائص شعره.

معاني شعر زيد الحرب ودلالاته:

أولا: الشاعر لسان حال أمته

الشاعر زيد الحرب لم يكن فقط ناقلا لما يرى ويشهد من أحداث ومواقف إنسانية، بل كان منغمسا فيها، متغلغلا في أعماقها، منفعلا بتفاصيلها الدقيقة، مما يدل بوضوح على امتزاج الشاعر بوجدان قومه.

ومما كثف هذا الامتزاج خوض الشاعر الحرب تجارب حياتية مماثلة لتجارب الآخرين، أهلته للتعبير عنها بصدق خالص يؤثر في نفس السامع أو القارئ.

ونستشهد على ذلك بقصيدته المشهورة «عسر الدهر» التي أوردنا بعضا منها في كتابنا «أغاني البحر في الكويت: دراسة فولكلورية ١٩٨٥». وذكرت غنيمة زيد الحرب نصها كاملا في ديوان زيد الحرب. ونظمها في عام الكساد الاقتصادي الذي أصاب تجارة اللؤلؤ في الكويت عام ١٩٢٩. ويسائل فيها الشاعر تجار اللؤلؤ عن حصيلة جهد الغواص المسكين في صيد اللآلئ خلال موسم الغوص الشاق المضني،يقول:

عسر الدهر شابح زنودي بكمبار
والوي على العرقوب زنجيل الأفكار (٩)
وظليت لنا من دار لي دار محتار
تايه بغبات الفكر والهواجس

وبعد تصوير معاناته من عسر الدهر وجور الأيام التي تناولها في عدد من الرباعيات التي تشكل بنية القصيدة، يعرج الشاعر على موضوعها الأساسي:

وتجارنا عقب المعرفة جفونا
زل الشتا يا حمود ما سقمونا (١٠)
مادري عسر فيهم وإلا نسونا
الله عليهم وإن نووا بالتعاكيس
هم ما دروا باللي جرى الغوص كله
مثل الحمير ننقاد خمسة أهله (١١)

نشكي العرا والجوع ويا المذلة
ونركض بخدمتهم سوات البنابيس (١٢)
بالله عليهم وين ذيك التبايب
قل لي غدت بين الخلايج نهايب (١٣)
وإلا عليها غلقوا بالعصايب
بس حاسبونا بالحبر والقراطيس
وين القماش اللي من الدر جبنا
الله عليهم إن كلوا من تعبنا
ما تعتمر دار بالظلم تبنى
شيء يغضب الله ويرضى به إبليس
قالوا العذر يا زيد جتنا علومك
واحنا بعد والله هم ما نلومك
مير استعين بالله يقوي عزومك
لم يجي شملان نرخي لك الكيس
قماشنا بالهند والله طايح
واحنا غدينا ما بين شاني وصايح
هذي السنة صارت علينا فضايح
أنتم تبون فلوس واحنا مفاليس..

نستشف من المقاطع المذكورة أن الشاعر لم يتكلم فقط على لسان البحار المظلوم الذي سلب التاجر حقه وثمرة جهده وعرقه، بل ينقل إلينا وجهة نظر تاجر اللؤلؤ وهو يشرح للشاعر الظروف العصيبة التي حالت دون بيع المحصول، والإيفاء بمستحقات البحارة في موعدها المقرر. ويطلب منه الصبر حتى يعود «شملان»، أحد تجار اللؤلؤ الذي سافر لبيع حصيلة الموسم في الأسواق العالمية، وقد عاد التاجر فيما بعد وهو يحمل الربح الوفير.

ويسترعي انتباه القارئ أسلوب الحوار الدائر بين الشاعر والتجار، وهم يطلبون منه التذرع بالصبر وانتظار الفرج.

ولعل الشاعر أراد بذلك أن يخفف من حدة التوتر بين الطرفين، نظرا إلى حاجة كل منهما إلى الآخر. فالتاجر والبحار كفتان متعادلتان في ميزان الاقتصاد الكويتي. ولهذا السبب لا نتفق مع أحد الدارسين الذي فهم القصيدة على أنها «صورة لانحراف العلاقة بين التاجر والبحارة الأجراء، ومماطلة التجار

في دفع حقوقهم» (١٤). فالتجار لم يتخلفوا عن دفع مستحقات البحارة إلا لكساد أصاب تجارتهم، وقد فهم الشاعر هذا العذر وضمنه قصيدته.

وتتوالى مقطوعات هذه القصيدة الطويلة ليتطرق الشاعر إلى التغير الذي طرأ على أخلاق التجار من المروءة والجود إلى القسوة والتسلط. ويستطرد في شرح العلاقة الحميمة بين البحارة وأصحاب السفن. فلولا الغواصون لم يستطع التجار الحصول على اللؤلؤ عصب الاقتصاد في الكويت، فالبحار بمنزلة الثروة الزراعية التي لا تقوم إلا بالنخيل.

ولا شك في أن زيد الحرب كان يتحدث عن أزمة حقيقية مر بها مع زملائه من الغواصين. فهو في هذه المرحلة من حياته كان بحارا يمتهن الغوص على اللؤلؤ، وينتظر مقابل عمله بفارغ الصبر.

ثم يخاطب الشاعر أمير البلاد ناصحا إياه بأهمية الاتكال على العمالة الوطنية، لما تحمله من إخلاص للوطن لا يتوافر لدى الغريب. ويعرج على ذكر أقوام سادوا ثم بادوا نتيجة خضوعهم للأجانب وانضوائهم تحت لوائهم. يقول:

حنا لكم مثل النخل والزراعة

وحنا خزاينكم وحنا بضاعة

أهل الوطن مخصوص بأمر وطاعة

والا الغريب أن هج خلوه ببليس (١٥)

وين الرشيد أهل السيوف الهنادي

اللي حكموا نجد حضر وبوادي

ويا ما قطموا بالسيف خشم الأعادي

واليوم ما يسوون خمسة تفاليس

ووين الشريف أشراف حضر وبدوان

سيد الجميع مطوع كل من كان

من بيت الرسول وسلسلة سيد الأكوان

راحوا من الحجاز كلهم مفاليس

حتى يقول:

وانت اعتبر يا شيخ وراع الرعايا

دنياك هذي تنطوي كالحزايا

جدك ترى مبارك معطي العطايا

مصخر صم الرمك متعب العيس (١٦)

ويختم القصيدة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا:

تمت وذكـــــروا الله يا الحـــــاضـــــرينا

وصلـوا علـى المدفــــــون بـأرض المدينـة

أحـــــمـــــد رســــول الله واحنـا تابعـــينه

مع الصـــحـــابة أهل القــــبـــور المداريس (١٧)

هذه القصيدة الرائعة في صورها، العميقة في دلالاتها عكست، بحق، ثقافة الشاعر التراثية والتاريخية الواسعة. تلك الثقافة التي أحسن توظيفها في طرح أفكاره ومشاعره لتنضح بالصدق والواقعية. فشاعرنا على الرغم من أميته، واسع الأفق، حاد الذكاء، منحه الله موهبة فطرية فذة. وكل ذلك ساعده على امتلاك نواصي الشعر وامتطاء صهوة ريادته.

وهذا يلزمنا بإعادة النظر في مفهوم الثقافة الذي يربطه الكثيرون بالقدرة على القراءة والكتابة. تلك القدرة التي لم تتيسر للغالبية العظمى من أفذاذ الثقافة الشعبية من شعراء ومبدعين تفوقوا بأدواتهم الفكرية والفنية على كثير ممن نعدهم مثقفين وفق المعيار الضيق للثقافة. فالثقافة ليست حكرا على العارفين بأصول القراءة والكتابة، لأنها عالم رحب يتخطى ذلك إلى المعايشة الفعلية لتفاصيل الحياة بكل مداراتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية والاقتصادية (١٨).

والشاعر إن لم يستطع أن يقرأ، فهو يسمع ويطلع ويتابع ويناقش. وبهذا كله تتكون حصيلته الفكرية من خلال الوعي والقدرة على سبر أغوار الواقع، ومتابعة جميع التحولات التي تطرأ عليه.

والشاعر الفنان يمتاح صوره وأفكاره من بئر الواقع ليصوغها شعرا حافلا بالصدق والألم والمعاناة، ولكنه لا يخلو من الأمل في تغير الجانب السلبي لهذا الواقع إلى الأفضل، وعلى هذا الأساس نختلف مع الشاعرة غنيمة زيد الحرب في قولها: «وإذا كان البعض يرى في العامية نقطة ضعف في الشاعر النبطي أو الشعبي، فإنها لا تكون كذلك عندما نعلم أنها قيلت في وقت لم يكن فيه فهم اللغة العربية الفصحى سائدا في مجتمع معظم أفراده أميون. وكانت أداة التوعية بينهم كلمة تنطق وتسمع بين الأفراد مباشرة لا عن طريق وسائل الإعلام السائدة في الوقت الحاضر. وعلى هذا الأساس كان الشعر النبطي في الفترة التي عاشها الشاعر (من عام ١٨٨٧ - ١٩٧٢ إذا طرحنا منها العشرين سنة الأخيرة) هو اللسان

الناطق عن الأفراد المعبر عن قضاياهم وأمور حياتهم، وهو المسجل للأحداث المؤرخ لها ....) (١٩).

وعلى الرغم من صحة رأي المؤلفة في شيوع الشعر العامي في مرحلة لم تكتمل فيها أدوات الإعلام المعاصر، فإننا نخالفها الرأي في أمرين:

١- خلطها بين مفهومي العامي والشعبي، وهذا المنزلق يقع فيه كثير من غير المعنيين بالدراسات الشعبية، لتعويلهم على اللغة فقط معيارا للحكم على مصداقية النص الشعبي.

ونحسب أننا استوفينا هذه المسألة في بداية البحث ولا حاجة بنا لتكرار ما ذكرنا، ومع ذلك نؤكد أهمية تجاوز الشاعر النزعة الفردية إلى الامتزاج التام بالوجدان الجمعي.

وواضح أن الشاعر زيد الحرب قد تخطى الحد الفاصل بين الأنا والنحن ليكتسب شعره الهوية الشعبية، ويتردد على ألسنة الناس غناء وإنشادا.

واللافت أن الكاتبة تدرك أهمية تعبير الشاعر عن وجدان الأمة، وتؤكد أن القيمة الفعلية للشاعر لا تكون إلا بإدراكه الأحداث المحلية والقومية وتفاعله وانفعاله بها.

وتستشهد بوالدها الذي تخطى الحدود الذاتية والقومية بنجاح منقطع النظير. تقول:

«.. الشاعر الذي تعدى حدود الذات ليعبر عن مشاعر مواطنيه وأحاسيسهم. والذي ترجم آلام قومه وآمالهم إلى قصائد رائعة ترنم بها البحار على ظهر سفينته، وشدا بها المزارع في مزرعته، ورددتها النساء وهن يحلمن بالعودة، عودة الآباء والأبناء والأزواج من رحلة الغوص، هذا الشاعر الذي تعدى حدود ذاته ليعبر عن مشاعر مواطنيه، لم يعترف بالحدود الإقليمية التي تفصله عن وطنه العربي الكبير، فتعدى تلك الحدود ليخط لنا خريطة العالم العربي، وقد خلت من الحدود الداخلية التي تفصل بين بلد وآخر داخل الوطن العربي...» (٢٠).

وهكذا تبدي غنيمة الحرب إدراكا واعيا بسمات الشعر الشعبي ووسائل انتشاره، التي لم ولن يؤثر فيها صوغه باللهجة المحلية.

٢ - قول المؤلفة بشكل غير مباشر، بإحلال وسائل الإعلام المعاصر بدائل للشعر الشعبي.

ونحن على الرغم من اتفاقنا معها في أن الشعر كان الوسيلة الإعلامية

الوحيدة، وأن الكلمة الشفهية كانت بديلا للكلمة المكتوبة، فإننا نرفض القول بأن وسائل الإعلام قد قلصت مساحة الشعر الشعبي. الشعر الشعبي لا يزال إبداعا فاعلا مفعما بالحياة، له محافله وشعراؤه الذين لا يزالون ينشطون في ممارسة إبداعهم جنبا إلى جنب مع ألوان الإبداع الشعري الأخرى.

ولنا في شعراء النبط في مناطق الخليج والجزيرة خير مثال على ذلك. وكذلك لم تنل وسائل الإيصال الجماهيري من الملاحم الشعبية الشائعة في أرجاء أخرى من الوطن العربي. فلا يزال شعراء ورواة سيرة عنترة بن شداد العبسي ناشطين في تداولها شعرا ونثرا، في صعيد مصر. وكذلك الحال بالنسبة إلى سيرة بني هلال التي تشيع في أرجاء المغرب العربي.

وكما أثرت وسائل الإعلام ينابيع الثقافة وساهمت في تنوع مصادرها، فقد ساهمت إلى حد كبير في الحفاظ على أنماط المأثور الشعبي والعمل على نشره وترويجه، فما كان يستغرق وقتا طويلا للانتقال عبر الزمان والمكان، صار يتخطى الحدود اليوم ويشيع بين المجتمعات في فترات زمنية وجيزة. وهكذا ساعدت هذه الوسائل التقنية المتطورة المأثور الشعبي على الانفتاح على بيئات أخرى تطلع عليه وتتأثر به وتؤثر فيه، ما هيأ مجالا رحبا للتداخل الثقافي بين الشعوب.

ثانيا: المنحى الفلسفي عن طريق التقابل في المعاني والصور

ويبدو التقابل بين الصور والمعاني واضحا في قصيدة «اليوم أنا أمشي على ظاهر القاع»، وهي قصيدة يفلسف فيها الشاعر نظرته إلى الحياة على أنها حركة ونشاط على سطح الأرض، في حين أن الموت نزول إلى باطن الأرض وخلود إلى السكون وفقدان الحركة، يقول:

اليوم أنا أمشي على ظاهر القاع

ولا بد يوم أواسد حدرها

ثم تتوالد الصور الفرعية الناجمة عن هذه الصورة الأساسية القائمة على المقارنة بين الحركة والسكون. فالحياة حركة بكل مستلزماتها من العمل والاجتهاد في توفير لقمة العيش التي ربما تتيسر أو يعسر منالها. ولا يقتصر الأمر على الحركة الرتيبة الناجمة عن تجوال الإنسان في دروب الكون، بل ما يصاحب تلك الحركة من مشاعر حلوة أو مرة تنتج من تحقق أو عدم تحقق أمنيات الإنسان في العيش الكريم، يقول:

بجـــاهد الـدنيـــا بمجــــداف وشـــراع
مـــا دمت أنـا حـي وأمـــشي بظهـــرهـا
مـــرة بغـبَّــة سـور ومــرة بحــر باع
ومـــرة بصـــافـيـــهـــا ومـــرة ابكـدرهـا
ومــــرة يقـل الـزاد ونكيـل بـالـصـــاع
ومـــرة تفـــارات يبـــذك كــثـــرهـا [٢١]
أنـا حـــصـــان وتبــعـــتني بمصـــراع
يـوم تســحـــبني ويـوم أجـــرهـا
ولا ســحـــبـــتني باع جـــريتـــهـــا ذراع
تبــغـي لي الـظـلمـــة وأبغي ســفــرهـا

ويمضي الشـاعـر في قصيدته مصورا صراعـه مع الحياة، ثم تحدث نقلة مفاجئة يتحول فيها الشاعر من الشأن الخاص إلى الشأن العام، حين يصور حال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم، فهم أتباع الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه، الذي دانت له الدنيا في الهند وأوروبا على أيدي صحبه الأبرار وفرسانه الشجعان مثل طارق ابن زياد فاتح بلاد الأندلس. ثم يستعرض حال المسلمين الآن وكيف انحدروا من الرئاسة إلى التبعية والذل. ويتخذ فلسطين نموذجا على تحول العرب والمسلمين من العز والسؤدد إلى الاستسلام والخنوع، يقول:

حنـا هل التـــوحـــيـــد فـي ســـيف وذراع
وحـــنـــا ســنـــام الـعـــــــز وذروة ويـــرهـــا
وحـنـا ملـوك الأرض وحـنـا لهـــا ســـبـــاع
وحـنـا نجـــوم الليـل وحـنـا قـــمـــرهـا
وحـنـا أحـــســن المخلـوق فـي خلـق وطبـــاع
ورايـتـنـا فــي كـل وادي نـشــــرهـا
مــحـــمـــد عـــبـــر للهـنـد والهـنـد له طاع
ويحـــور أوروبا جـــيـش طارق عـــبـــرهـا
لـيـــمـن حـكـمـنـاهـا بـثـــلاثـة الأربـاع
وربـع لـنـا الجـــزيـة يـدي ثـمـــرهـا
وحـنـا لـهـــا رأس وصـــرنـا لـهـــا أكـــواع
ومـلـوكـنـا لـلـروم طـايـح قـــدرهـا

شـوفـوا فلسطين بهـا الذل كـد شـاع
ويهـود خـيـبـر شـيـعـوا في خـفـرها
هـذا السـمـا مـا زال ومـا زالت القـاع
ولا غـيـرت سنينهـا مع شـهـرها
أنـتـم تـغـيـرتـوا فـي شين الأطبـاع
وذل سـلـب أيمـانـكـم مـن صـدرهـا (٢٢)
وأنـتـم تـعـذرتـوا مـن قـل الأوضـاع
وقلتـوا المصـانـع راي أوروبـا عـمـرهـا

وهكذا يمضي الشاعر في تصوير حال العرب الذين تغيرت نفوسهم من العز إلى الذل والخنوع، على الرغم من أن الدنيا لم تتغير. وهم مبهورون بما لدى أوروبا من مصانع هم قادرون على إنشاء مثلها، ولكنهم متخاذلون يستمرئون حياة الذل والهوان. وهم كما الرماد المتخلف عن نار الشجاعة التي ميزت العرب الأول وأهلتهم لتسيد الأرض.

ويختم الشاعر الحرب قصيدته المؤثرة بتشبيه العرب بالأموات، وهو يناديهم ولا يسمعون النداء، ويتمنى في النهاية أمنية يائسة لا تتحقق، حين يدعو صناديد العرب وأشاوسهم القدماء أن ينهضوا من قبورهم ليبادروا بالإصلاح، ويدفن عرب الحاضر الذين لا تختلف حالهم عن حال الموتى.

راحـوا ليـوث الحـرب وطفـوا الاشـمـاع
وظـلـت تـخـور بـالمـفـالـي بقـرهـا
جـدودكـم نـار بهـا الصـمغ كـد مـاع
وأنـتـم رمـاد طـايـح مـن جـمـرهـا
ليـت الذي حـدر الثـرى تطلعـه القـاع
وليـت الذي فـوق الثـرى هـو حـدرها (٢٣)

وتتكرر هنا ظاهرة المزج بين الأنا والنحن. وهي ظاهرة سائدة في شعر زيد الحرب. فأغلب قصائده تعكس مدى انشغاله بالشأن العام لأمته وقضاياها المصيرية، تلك القضايا التي استقطبت كما كبيرا من شعره.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة التناقض الثنائي بين الكلمات والمعاني ظاهرة مهمة في دراسة المأثور الشعبي. وقد طبقها أصحاب النظرية البنائية على دراسة الحكايات الشعبية والأساطير، وكان هدفهم من رصد المتناقضات، التوصل إلى الحقيقة الكامنة وراءها (٢٤).

وها هو شاعرنا يرسم بأدواته الإبداعية البسيطة، الإطار العام لهذه الفلسفة التي لم يسمع بها، والتي شغلت الباحثين ردحا من الزمن. وها هو يستغلها، بعفوية واضحة، في التعبير عن حقيقة مهمة تتصل بتدهور أحوال العرب في الوقت الحاضر.

ولم تقتصر فكرة التقابل بين المعاني على القصيدة المذكورة، بل شكلت سمة غالبة في شعر زيد الحرب وبالأخص شعره القومي.

ثالثا: عمق المعاني والدلالات

شعر زيد الحرب يتخطى الوصف المجرد للظاهرة التي يتناولها إلى الغوص في ثناياها ليستشف منها عبرة وعظة، أو يستخدمها في الدعوة إلى منحى سلوكي أفضل، سواء على المستوى المحلي أو القومي، كما في قصيدة «مجلس التأسيس» التي يقول فيها:

يا مجلس التأسيس احنا انتخبناك
نبغيك لا تهنا بدرب تدله
ولا ضاعت الأفكار نلوذ بحماك
وتصير مثل الفرس نركد بظله
وانت الطبيب علاجنا مرهم دواك
وانت الشفا للشعب من كل علة
والشيخ ما قصر على الملك ولاك
وأرخص لك الغالي دقاقه وجله
واحنا على كيفك وندوّر رضاك
وحقك علينا يطيعك الشعب كله
ونحب من حبيت ونعادي عداك
وكل ما يطوي بعزم نفله (٢٥)
ولا ابتليت بسو نبلى ببلواك
ونشاركك في كل درب تحله
كله لاجل هذا حنا نصبناك
نبغيك مثل الدرع دون المذلة
دين الحنيفي خله اليوم مبداك
وشرع النبي المختار تمشي ارضا له

وتمضي القصيدة حتى يقول:

لا تصـــيــــر مـــثل الملح من شـــرب من مـــاك

لازم تـصـــــيــــبـــــه فـي المصـــــارين علـة

المجـــــرم الخـــــوان تضـــحـك الـي جـــاك

والــلـص تـســـــــــمـح لـه ولـو داس زلـه (٢٦)

وتقـــول لـو شـــفـــتـــه دخل منـزل نســـاك

خلـه بســـــبـــــيلـه يـروح بـالـك تـتلـه

ذا يفـتن الجـــــمــــهـــــور هـذا مـع ذاك

ويـكـثـــــر الـفـــــوضـــــات فـي كل حـلـه

مـــــــا تـصـلـح الـديـرة وهـو ذاك بـرداك

يصـــــبح نظـامك والحكم فـــيـــــه خلـه

إلى أن يقول داعيا المجلس إلى التلاحم مع الشعب من أجل بناء الوطن:

جـــــعـل الـردى والـلاش والـفـن يفـــــداك

أمـــشـي الطـريـج اللـي مـــشـــاه بـن بيلـه

ولـــي عـطـيـت الحـق فـــــــالـكـل ويـاك

لـو طـال حكـمـك مــــجلسـك مـــا نملـه

وكل الأهـالـي طـايعـــة تمضي أمـــضـــاك

ويشــــهـــد لك التـــاريخ وسط الســـجله (٢٧)

ونلاحظ استشهاد الشاعر بالزعيم الجزائري أحمد بن بيلا الذي قاد حركة تحرير بلاده من الاستعمار الفرنسي.

رابعا: الثقافة الواسعة والإلمام بكل القضايا الإقليمية والقومية مع معرفة عميقة بالأحداث التاريخية

هذه الثقافة الواسعة مكنت الشاعر من عقد مقارنات بين الماضي والحاضر، كما لاحظنا في قصيدة «اليوم أمشي على ظاهر القاع»، الهدف منها دعوة أولياء الأمور إلى السير على نهج الأولين في علاج الأوضاع وإعلاء شأن الأمة، ونستشهد بما قال الشاعر في الذكرى الثانية لاحتلال فلسطين:

قلت أنـا ويلاه مـن كـــثـــر القـــهـــر

شـــاب راسـي وهـملـن دمـع الـعـــيـــون

من كـثـر مـا اشـوف في وقت ظهـر
نـومس الخنـزير والليث امـغـبـون (٢٨)
يالعـرب ترضـون في هذا الخـبـر
تـصـعـد الانـذال وأنـتـم تـنـزلـون
وتـدعـون أنـكم سـادات البـشـر
شـالسـبب بعـزومكم مـا تنهـضـون
من كـسـا فـارس بالـدم الحـمـر
لـين خـلا الفـرس عـنـه يـرحـلـون
ومن هدم غـيـوان كـسـرى واشـتـهـر
ومـن سـقـى قـيـصـر في كـاف ونـون
ومـن حـكم الأمـصـار في عـز وفـخـر
ومـن عـلا صـيـتـه في مـاضـي القـرون
ومـن ترس بالبـرثم فـاض البـحـر
ومـن طفلهـم الجـبـابره يسـجـدون (٢٩)

إلى أن يقول:

وين أبا الحـسـين وعـثـمـان وعـمـر
ومـن تخلف عـقـبـهم لو يحـضـرون
رجلـهـم الـفـين وأنـتـم كـانـفـر
وكلـكـم مـن جـد واحـد تـدعـون

وتتوالى أبيات القصيدة، فيشيد الشاعر بالكفاح الفلسطيني ضد المحتلين ويأسف لتخلي العرب عنهم:

صـاح بيت المقـدس عـامين وشـهـر
يـدعـي الـداعـي ولا لـه تـسـمـعـون
وجـاهـدوا أهـلـه فـي سـيـف أو ظـفـر
فـي وقـود الحـرب دايم يـصـهـلون
انـشـدوا الشـمـس عنـهـم والقـمـر
مـع نجـوم الـلـيـل لأنـهـم يـشـهـدون
هـم ليـوث الحـرب فـي وادي الخـطـر
وافـعـلـوا فـعـل الـصـحـابة الأولـون
يـوم قـوم الـسـبـت لاذوا بمـن كـفـر

قـــامــــوا الإســــلام فـــيكم يلتــــجـــون

كــــــخـــــــريف الـصــــــيف إلـى طـاح المـطـر

لا يســـــــر الأرض ولا أنـتـم تـنـفـــعـــون

تـزعــــمـــون عن جـــورج هـو ســـيـــد البـــشـــر

ولـدنـانيـــر الـســـيـــاســـة تـركــضــون

وأخيـرا يدعـو العرب والمسلمين لنبـذ التخـاذل والتفكك ورفع الغشـاوة عن أعـينهم، والنهـوض في وجـه المستعمـر الغادر، ومـقـارعتـه بالسيف كمـا فـعل أجدادهم الشجعان، ليكون مآلهم الجنة التي أعدها الله للمجاهدين:

يـا أمــــــة الإســــــلام بـابـدي لـي نـظـر

اضـــربـوا بـالســـيـف كـل خـــاين يـخــون

وانـزعــــوا الـظـلـمـــة وفــوتـوا لـلســـفـــر

مـــا فـــعـلوا أجـــدادكـم بـه تـفـــعـلـون

حــــتـى تـنـالـون المـعــــزة والـفـــخــــر

وفـــي جـــنـــان الخـلـــد بـــالـلـــه تـســكـنـون

هـي لـكـم مـــضــــمـــونـه دب الـدهـر

مـــا دام أنـتـم بـالـشـــهـــادة تـنـطـقـــون

والـوصـل مـــا بـيـنـكـم ســـر وجـــهــــر

فـي حـــدود الســـيـف وجـــهـــاد يكون

واعــــرفــــوا أن الـعــــز فـي رأس الخـطـر

ومـــا يـصـــعـب أولـه لازم يـهـــون

وصلـوا عـلـى المخـــتـــار هـو ســـيـــد البـــشـــر

هـو شـــفـــيـع يـوقـت يـوم تحــشـــرون (٣٠)

وتتكرر لدى الشـاعر فكرة نبذ العرب التخاذل، والتمثل بالسلف الصـالح في أغلب قصـائده القوميـة إن لم يكن جلهـا. وهدف الشـاعر من ذلك حث العـرب على مقاومة كل أشكال الاحتلال البغيض، وتحقيق الاستقلال والسيادة.

خامسا: حب الشخصيات القومية باعث على التذكير بمسؤوليتها تجاه الأمة

الشـاعر زيد الحرب عاصر بعض الشخصيـات القوميـة التي كان لها فضل قيادة حركات التحرير في الوطن العربي. وأبرز هذه الشخصيات الزعيم الخالد

جمال عبدالناصر الذي شغف به الشاعر، وعده الفارس الهمام الذي سوف يحيي أمجاد الأمة ويسترد كرامتها.

ولم يكن حب زيد الحرب لعبد الناصر رومانسيا حالما كأي إنسان عادي، بل كان حبا يمتزج بالخوف على مقدرات الأمة، وحث عبدالناصر على الحفاظ عليها. والشاعر هنا لم يخرج على الخط الوطني والقومي الذي ترسمه في شعره. فهو بحكم انتمائه العربي، لا يستطيع أن يقف متفرجا على ما يجري هنا وهناك من مزايدات على مقدرات الشعب، بل يسخر جل إمكاناته الشعرية والمعرفية لإبداء النصح والمساهمة في تقديم الحلول المناسبة.

ففي قصيدة «مخاطبة عبدالناصر» التي نظمها قبل حرب ١٩٦٧، يختلط حب الشاعر الجارف لعبد الناصر مع خوفه على قناة السويس من سيطرة الأعداء. فقناة السويس ليست في تصوره، ملكا خالصا لمصر، بل ملك كل عربي حريص على كرامة العرب وعزتهم، ولذلك يحذر عبدالناصر من انتظار المفاوضات مع أمريكا، لأن التفاوض هو سبيل التخاذل والخنوع والرضوخ للعدو. والمفاوضات خدعة يتذرع بها الأعداء لاستلاب ثروات مصر، والاستحواذ على مقدراتها عن طريق السيطرة على قناة السويس، وإن سيادة مصر مرهونة بتحرير قناة السويس.

والشاعر يخير القائد العربي بين حياة الذل والعبودية، وحياة العز التي لا تكون إلا بالحرب، والذود عن ذلك الممر المائي الاستراتيجي بكل ما يلزم من تضحيات.

ويشبه زيد الحرب قناة السويس بالوريد الذي إذا عطب، لا يمكن معالجة أعراضه الخطرة. كما يرى عبدالناصر سراجا يضيء وادي النيل، ويتمنى لو تقلد مهمة حراسة بابه ليتملى برؤياه.

ولكنه يأسى لعجزه عن ذلك لكبر سنه وفقد بصره. وهو لا يملك سوى شعره النابض بحب العروبة. ويدعو له بالنصر والسيادة على قبرص وجبل طارق والطور أسوة بأجداده الميامين.

واللافت أن الشاعر لا يذكر أسماء الشخصيات التاريخية صراحة، بل يدعو إلى الاقتداء بمآثرها، وهو لا يرى في التصريح أمرا لازما فيما لو كانت الغاية المنشودة هي التأسي بالأفعال والمنجزات، التي تكفي في رأيه للاستدلال على أصحابها. يقول:

عبدالناصر كان مني تبي الشور

كثر المفاوض يا فتى ما يفيدك

وترى الرمـــــاد لو نفخ مـــا يقلب الفـــور

ومـــجلس أمـــريكا ينقـــصك مـــا يزيدك

ويالك تظن بالطيب يمشي لك الثــــور

الا أن تســـوقـــه والعــصـــا في يمينك

وإن كـــان مـــا تقـــدر على الثـــور بالهـــور

اصـــبـــر تحـــرقـــه ناركم من وقـــيـــدك

واحـــــذر من الطاغـــوت لا يدور لك دور

ينصب حـــبـــايل لين فـــخـــه يصـــيـــدك

ومـــثلك يعـــرف اللص هو منقع البـــور

ان واعــــدك لا شك ينكر وعــــيـــــدك

واخـــذ الحـــذر من راعي الكذب والجـــور

من خـــوفـــتي ياسـيـــد يصـــيـــر سـيـــدك

يقـــضب قناة ســـويس ويقلب على الخـــور

وتصـــيـــر له مملوك فـــيـــمـــا يريدك (٣١)

تـرى حـــيـــاة الذل نار لهـــا طور

والعـــز بالبـــارود وصـــافي حـــديدك

وقـــولت عـــسى ويا ليت مـــا تنفـــذ الكور

ولا تخـــيّط مـــا يشـــقـــه ضـــديدك

ولا يـــزيـــح الـــهـــم مـــن داخـــل الـــزور

مـــادام كف عـــداك قـــاطب وريدك

يا ســـــراج وادي النيل وحق العــــرب نور

نهض بعـــزم الله والله ســـعـــيـــدك

واطلب لك التـــوفـــيق من خـــالق الحـــور

يعـــيـــد لك بالعـــز وحـــقـــه يعـــيـــدك

ويجـــاه من ناجـــاه في قـــمـــة الطور

يجـــعل جـــمـــيع عـــداك كلهم عـــبـــيـــدك

واسلم وسلم لي على الشـــعـــب بســـرور

أولاد وادي النيل جند عـــضـــيـــدك

جند الا من شـــاف للضـــد منشـــور

يـشـب نار الحـــرب ويطرد طريدك

وباقي العـــرب للنيل درع كـــمـــا الســـور
هـــم تـــرى يمـــنـــاك والـــة عـــــــديـدك
واطلب لك التـــوفـــيق منين مـــا تـدور
كـــســـيك ثوب العـــز بأيام عـــيـــدك
وتحكم على قـــبـــرص وطارق مع الطور
ومنين مـــا يممت يقـــرّب بعـــيـــدك
ويا ليـــتـني عندك على البـــاب ناطور
يشـــهـــد علي الله قلبي يريدك
لا شك مـــثـلي يا فـــتى الجـــود مـــعـــذور
عـــود كـــفـــيف لو يجي مـــا يفـــيـدك (٣٢)

ويتأكد رفض الشاعر فكرة التفاوض مع الأعداء، والدعوة للأخذ بخيار الحرب في قصائد أخرى لا يتسع المجال لذكرها، منها القصيدة التي نظمها في نكسة يونيو عام ١٩٦٧ التي يقول فيها:

لا تفـــاوض العـــدوان في كـــثـــر الأعـــذار
الضـــد مـــا هو لك شـــفـــوق رحـــوم

ويقول في قصيدة (قل هو الله أحد):

واعلمـــوا كـــثـــر المفـــاوض مـــا يفـــيـــد
ومـــجلس أمـــريكا خـــارب مـــا به ســـعـــد

سادسا: ربط الشأن المحلي بالوضع العام للوطن العربي

يربط الشاعر في بعض قصائده بين الشأن المحلي والعربي لإيمانه بأن العالم العربي حلقات متداخلة لا يمكن بأي حال، فصلها عن بعضها. وعلى هذا الأساس يكون صلاح الجزء مدخلا إلى صلاح الكل، والعكس صحيح. فعلو شأن الأمة مرهون بتبدل حال أبنائها في أرجاء الوطن العربي، وهذا لا يكون إلا بتمثيل السلف الصالح في القيم والمبادئ ومكارم الأخلاق.

ومن الواضح أن تداخل مفهومي الوطنية والقومية في فكر الشاعر زيد الحرب ناجم عن تأثره بالمد القومي آنذاك. وهو ملمح بارز في إبداع الشعراء والأدباء في تلك المرحلة التاريخية التي شهدت سقوط الدولة العثمانية، وقيام الدولة الصهيونية في فلسطين.

يقول في قصيدة «قال الراوي» وهي قصيدة مقطعية خفيفة من بحر المتدارك، ينتقد فيها الشاعر بعض الظاهرات الاجتماعية والسياسية السلبية:

قال الراوي
كل شي حاوي
وانهاره دايم ممليه
احفظ مالك
عن عيالك
ترى العاجل يحفظ شيه (٣٣)
حذره يفشك
واحفظ فشك
عن الحجي والحجية
ثم يقول:
بعض التجار
يطلع عيار
ياكل نيه والمشويه
وبعض التجار
أجواد أخيار
لولو صافي بهير اشتيه (٣٤)
أما الطوّاش
رق حوّاش (٣٥)
يأخذ تعيب البحرية
رحنا اللجنة
فيها تهنا
مثل الحنشل نهيبيه
رحنا الشرطة
طحنا بورطة
هذا وهذا جمبازيه (٣٦)
رحت القاضي
بمره راضي

باق الفترة والقحفية (٣٧)
وعند الحاكم
حذره تشاتم
ياخذ مالك للمالية

ثم ينتقل إلى الحديث عن القنصل البريطاني وهو أصل البلاء ورمز الاستعمار، تدل على ذلك أعماله في تركيا وكوريا وفلسطين. وإن الخلاص منه لا يكون بالتفاوض بل بالحرب، كما فعل قادة المسلمين في العصور الذهبية.

أما القنصل
ألعن عنصل
مخباط أصفر في تركيا
حجيه ليّن
وهو لعيّن
سلّ ياتي شوي شويّه
من قو باسه
كشف راسه
شوفوا شسوا في كوريّا
أمن المشرق
ليما المغرب
يلعب فيهم طمباخية (٣٨)
ومن مد أيده
حقه يريده
قالوا من ريع الشيوعية
يانا بسوّه
شوف شسوّه
نضّب دولة يهودية
حتى يقول:
وعمي وسيدي
بيش يفيدي
الحق يوخذ بالعوجيه (٣٩)

ترى الجمعة
عز وجمعة
وبيت العالي بالجمعية
قاموا الإسلام
بدين قام
مثل الجدران المبنية
ومنه الظاهر
وسيفه شاهر
ابن العباس وابن أمية
وانتوا منهم
وسدّوا عنهم
وكل سيل يتبع واديّه (٤٠)

سابعا: الصورة الشعرية النابضة بالحياة والحركة

وتتجلى القدرة على التصوير في قصيدة جميلة يوثق فيها الشاعر الحرب، الحياة الاقتصادية في الكويت قبل اكتشاف النفط. ويحيط القارئ علما بأهم المهن التي كان يمارسها الكويتيون برا وبحرا بدقة متناهية، تستحيل فيها الأبيات إلى مشاهد فوتوجرافية حية تشد انتباه القارئ إلى درجة المعايشة.

وتشبه غنيمة زيد الحرب هذه الأبيات باللوحة التاريخية التي تصور نضال الشعب الكويتي وصراعه مع الطبيعة القاسية، يقول الشاعر:

حنا هل الديره وحنا لها عيال
وحنا ذراها في الليالي الصعيبه (٤١)
وحنا عليها نكد بسنين الامحال
لي غار عنها الجن واخلي جليبه (٤٢)
ناس تكد الماي وناس بهيّال
وناس على (عشيرج) تجدح بهيبه
وهذا ترى (حدّاق) وهذاك (جمّال)
وهذاك زاروع إعابل شريبه
وراعي الحضور يباري اليم لي سال
يخاف من (لخمة) ذنبها يصيبه

ثم يستعرض الشاعر العناء الذي يكابده البحار، وهو يصارع الأمواج في رحلات شاقة ممتدة على مدار السنة، يقول:

والقيظ كله انجالب الغوص بحبال

مايه جما الزرنيخ وزاده نهيبه

و(الغيص) يشكي الضيم من بحر الأهوال

و(السيب) واجف دوم مثل النصيبه (٤٣)

ورحنا السفر والموج ياكنه جبال

في غبّة فيها المنايا قريبه (٤٤)

ويطرح الشاعر هنا تجربة حقيقية عاشها وهو يخوض غمار المحيطات مع أقرانه الملاحين، مواجهين حياة محفوفة بالمخاطر والأهوال. لذلك جاءت قصيدته صادقة حافلة بالدلالات الموحية، الدالة على أهمية الاتكال على العناصر الوطنية المخلصة في تصريف أمور البلد.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه القصيدة تعدت مسألة توثيق الحياة الاقتصادية في الكويت قبل ظهور النفط إلى نقد الأوضاع في المجتمع الكويتي المعاصر. فالشاعر يخاطب فيها المغفور له الشيخ جابر العلي الصباح نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام آنذاك، ويتوجه إليه بالشكوى من سراق المال العام والمتلاعبين بمقدرات الشعب، ويؤكد له أن أولئك اللصوص هم من أهل البلد وليسوا غرباء، ما يجعل البلاء أعظم، يقول في مطلعها:

يا بو علي بنخاك يا طيّب الفال

حيثك مقر الجود مجده وطيبه

جيتك أنا يا شيخ أشرح لك الحال

من حيث مثلك من عنى له يثيبه

تهنا وضعنا بين سارق وحيال

حتى المؤجّر حقنا بيفدي به

منا وفينا صايب القلب سلال

ما بلادنا من جنود غريبه

وش شوفتك يا شيخ في بعض الانذال

شوك دفن بالطين يابس عسيبه

هم يلعبون اليوم في خزنة المال

ويطالبون الشعب بلقمة غبيبه (٤٥)

ثامنا: رمزية الزمان والمكان

ونقصد بها استخدام الشاعر رموزا دالة على البعد الزمني والمكاني للظاهرة التي يتناولها، ففي قصيدة «فلسطين» يتمثل الشاعر إسرائيل عجوزا شمطاء شديدة الدهاء كما عجوز خيبر.

وترمز العجوز إلى العداء التاريخي الذي يكنه اليهود للمسلمين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مما أدى إلى نشوب موقعة خيبر التي دارت بين الطرفين في المدينة المنورة.

فما حدث لفلسطين ليس وليد الساعة، بل هو نتيجة صراع قديم بين العرب واليهود.

أما فلسطين، فهي الشابة الفتية التي يتغزل بها الشاعر ويشتاق لملاقاتها، ويأمل في تخطي الصعاب للاجتماع بها، ولكن دونهما العجوز البغيضة التي تعترض سبيل الشاعر، محاولة إغواءه وإلهاءه عن لقاء حبيبته:

أمس العصر وافيت سيد الرعابيب
يشبه قمر خمسة عشر حدر الأسلاب (٤٦)
ساعة نطحني شب قلبي لواهيب
قلت: الوصل وقال: ذا الحين ما ناب
أصبر الين الشمس حدر الدجى تغيب
واجعل ظلام الليل ستر لك حجاب (٤٧)
واحذر تحدّر من عيون الرواجيب
والواش للفتنة على النار شبّاب (٤٨)
قلت: أي حزّة أجيك فيها بتراتيب
أطق أنا الدفعة لو أشخط لك الباب
قالت لي: أسكت جاتنا وضعة الشيب
وهذي عجوز إبليس وتدور الأسباب
قلت: افزّ عجل في سلام وترحيب
هلبت تخلي السيل يجري مع الساب (٤٩)
قالت: عجوز من عجايز تل أبيب
حدبة ظهر يشيب من شوفها الشاب

ثم ينتقل الحوار الدائر بين الشاعر وحبيبته إلى حوار بينه وبين العجوز التي تحاول عبثا غوايته وإيقاعه في شراك مكرها، وتزين له درب الرذيلة الذي يرفضه بحزم:

قــالت: هيــا مــعي لصـــيــد وعندي جــلاليب
وكل مـــاتبي منهم أســـحــبـــه بكلاب
قلت: والـلـه مــــالي بـالعـــــذارى مطـاليب
ولانـي عـلـى ظـنـك ســــــروق ونـهّـــــاب
قـــالت: اترادد من كـــبـــيـــرة خطاطيب
أجــيــبــهم من غـــيــر شـــرع ولا كــتــاب
قلت: أنت عــجــوز إبليس صـفــرا العــراجـيب
يا الحــيّـــة الرقطا لا صـــيـــر لك داب (٥٠)
قــالت: والله لاقــعــد لك على الدرب بالهــيب
وامـــزعـك تمـزيـع فـي روس الأهـيـــاب (٥١)
قـلـت: احـط لـك جـن بـوسـط المـداعـــــيــب
ولا بـد مـــا يـصــيــدك حـــداهـم بمدعـــاب

وهكذا يستمر حوار الاستفزاز والتحدي بين الشاعر والعجوز. وتتضمن الأبيات موصوفات شعبية وكنى شائعة في التراث العربي، مثل تشبيه الأذى بلدغة الأفعى الرقطاء، والاعتقاد بتخفي الجن في الأماكن المظلمة الضيقة كمسالك الصرف الصحي (المداعيب).

وواضح أن الرمز الذي يفتتح الشاعر به قصيدته يستحيل تدريجيا من الإلماح إلى التصريح كلما تابعنا قراءة القصيدة، يقول:

الا كـــان القـــدس لصـــيــحــتـــه مــجــيب
وشـــفت اليـــهـــود خـــدام من تحت الاعـــراب
قلت: لا بـد مـــــا يـوم نـفـلّ المنـاشــــيـب
ولا يـضـــــــيـع لـك ديـن لـلـديـن طـلاب
صــبــري يجــولك في ســيــوف مــحــاديب
ونـرجـــو النصـــر والعـــز من رب الارباب (٥٢)

ويبدو التقابل بين الصور الشعرية واضحا في هذه القصيدة. ويتأسس هذا التقابل بين نقيضين على الصراع بين الجمال والقبح والفرح والحزن والسعادة والألم والبراءة والمكر. وتتولد هذه الصور الشعرية المتضادة في نفس القارئ بصورة مطردة وهو يتابع أبيات القصيدة، ويواكب تطورها الشعوري حتى النهاية. تلك النهاية التي تأتي في الغالب مفعمة بالخيبة والإحباط كما في القصائد القومية الأخرى، لأن أغلبها تعبير عن مشاعر العجز القومي تجاه

أعـداء الأمـة. ويشـكل هذا الملمح زاوية حـادة في هذه القـصـيـدة، وكـذلـك في قصيدة أخرى يرثي بها الشاعر الزعيم الراحل جمال عبدالناصر.

ومعلوم أن فكرة التضاد بين الخير والشر نتاج فلسفات شرقية قديمة ظهر صـداها فـي بعض المؤلفـات العـربيـة القـديمة (٥٣)، كـمـا ارتـكـزت عليـهـا بعض النظريات المعنية بدراسة المأثور الشعبي والكشف عن مضامينه الإنسانية (٥٤).

وفي النمـوذج المذكـور ينحـو الرمـز منحـيين أسـاسـيين يشكلان بنيـة القـصـيـدة، أولهما، الصراع بين الخير والشر الذي بدا في هيئة عجوز ماكرة وشاب نبيل يرفض مناوراتها الدنيئة. وثانيهما تأكيد العداء التاريخي بين العرب واليهود، الذي أدى إلى احتلال فلسطين وقيام دولة إسرائيل.

تاسعا: استلهام الأمثال والتمث بالشخصيات الدينية والتاريخية

تحـفـل قـصـائد زيد الحـرب بالأمـثـال والشـخـصـيـات التـراثيـة. ولا ترد هذه الاقتباسات في شعره في شكل إشارات عابرة، كما لدى غيره من الشعراء، بل تشغل جزءا أساسيا من نسيج القصيدة وجوهرها الروحي. فالشاعر يوظف التراث للتعبير عن حالة شعورية معينة، يكون فيها الجانب المستلهم وسيلة إلى التنفيس عن تلك الحالة، كما في قصيدة «يا ناس قلبي بين الاضلاع محروق»، التي ينتقد فيها بعض الأوضاع الاجتماعية السيئة، مثل سرقة المال العام وحرمان الغالبية من حقها المشروع في ثروات البلد، ويشبه الكويت بعين عذاري، وهي نبع مشهور في البحرين، ورد ذكرها في المثل القائل: (عين عذاري تسقي البعيد وتخلي الجريب)، يقول:

يا غـيـمـة جـتنا بهـا رعـود وبروق
تمـطـر ولا شـفـنا عـلـى الأرض مـاهـا
تسـقـي بعـيـد الغـرس وتسـيـح بعـروق
تذكـر (عـذاري) مـا سـقـت من حـداها(٥٥)

ويشير الشاعر في القصيدة نفسها إلـى نمط من الألغاز الشعرية المعروفة في التـراث الكويتي وهو «الدرسعي». ويستغله للتعبير عن أمله في أن يفهم المسؤولون معنى قصيدته التي فسرت اللغز، ويعملوا على إصلاح الأمور.

هـذا جـواب اللغـز بإعـلان مطـقـوق
ويفـهـم حـروف الدرسـعي من قـراها

ويضمن الشاعر قصائده أمثالا أخرى للغاية الوظيفية نفسها، يقول في قصيدة نظمها بمناسبة تأميم شركات النفط في إيران عام ١٩٥١:

طاح الجمل والشيل من غاريه مال
كثروا سكاكين اللحم للبعير(٥٦)

وهو ينوه بالمثل القائل: «لي طاح الجمل كثرت سكاكينه»

ولا يكتفي الشاعر بإيراد الأمثال العامية، بل يطوع مقولات مصوغة بالفصحى لخدمة المعنى المقصود.

يقول في قصيدة للرد على ادعاءات عبدالكريم قاسم بضم الكويت:

هذا الفخر إن كنت غوج تقادي
ما هي دعايات وحبر في جريدة(٥٧)

وهو يستلهم المقولة الشائعة «حبر على ورق»، وتعني كلاما غير قابل للتطبيق.

أما الشخصيات الدينية، فقد اتخذها الشاعر مثلا يحتذى في الصبر والاحتمال والشجاعة في مواجهة الصعاب، يقول في قصيدة «صبرت صبر أيوب»:

صبرت صبر أيوب ويوسف وذا النون
مير الصبر للقلب يا ناس ما ثاب

ويقول في القصيدة نفسها:

وعنده محامي يا فتى الجود ملعون
فرعون مع هيمان كلهم ترى كلاب
وكلهم ترى عدوان موسى وهارون
والله لعن لثنين في دين وكتاب(٥٨)

وتبقى بعض القصائد التي دلت بوضوح على تأرجح فكر الشاعر تبعا للظروف التي يمر بها، منها قصيدته التي يؤكد فيها قناعته وعدم حبه للمال، والتي تناقض أبياتا أخرى يقر فيها بأهمية المال وسيلة إلى نيل العز والسؤدد. وربما كان لظهور النفط وتغير أسلوب العيش في الكويت أثره في نفس الشاعر، ما أدى إلى تغير ملموس في بعض آرائه. فبينما يقول في إحدى قصائده المعنونة «شوفوا العرب»:

ما همني المال يا ناس لو زاد
الخير عند الله والأرزاق وايد
همّي أنا يا ناس من ضد الأضداد
ولا هم إلا هم غبن الضدايد

شوفوا العرب ما بين الأشجار بالداد

كيف اليهود يطشرون البدايد[٥٩]

امّا صدمناهم على الخيل بطراد

ليما نسيد اللي على القدس سايد

يحرم علينا النوم والشرب والزاد

ويحرم علينا هدوم لبس جدايد[٦٠]

وأن ما فعلنا وا عسانا لا نفاد

وخلوا الحكم اللابسات القلايد[٦١]

بيض تكيد بكيدها كل من كاد

حسن من رجال بليّا فوايد

ويقول في الثانية:

إن كان عندك مال يصير لك كار

لونك سواد الليل قالوا قمرها[٦٢]

وإن كان ما تملك من المال دينار

أخير بطن الأرض لك من ظهرها

ترى حياة الذل ترث لك العار

وموتك على عز يرفع قدرها[٦٣]

ويبدو أن التغير الذي طرأ على رأي الشاعر مرهون بالموضوع الذي يتحدث عنه والظرف النفسي الذي يمر به. ففي الأبيات الأولى يتحدث عن قضية فلسطين التي يهون في سبيلها المال. أما الثانية فيتناول فيها ظاهرة عامة في المجتمع، وهي أن قيمة الإنسان أصبحت تقاس بمقدار ثرائه.

ولا نعتقد أننا غطينا في هذه العجالة، مجمل القصائد التي أبدعتها ريشة الفنان زيد الحرب، ولا نظن أن دارسا واحدا قادر على استدعاء ذخيرة من اللوحات الفنية التي رسمها زيد الحرب بمداد قلبه النابض بصور العيش الأمثل، عبر سنين طويلة، ولكننا اجتهدنا، قدر المستطاع، في استيفاء القصائد التي ترشدنا إلى النهج العام في تجربته الشعرية الفريدة.

أولا: القصيدة العمودية

تخضع القصيدة العمودية لدى زيد الحرب لشكلين فنيين أولهما: القافية المزدوجة أو المتواترة. وهي نظام شائع في الشعر الشعبي والعامي في الكويت ومنطقة الخليج العربي لملاءمتها الغناء. ومعروف أن الغناء الشعبي في أغلبه، أداء تكاملي تشترك فيه المجموعة مع الفنان في الأداء. والقافية المزدوجة عامل مساعد على الترديد وتبادل الأدوار بين المغني والكورس. ومن القصائد التي نظمها الشاعر على هذا النسق «القادسية مقدسة»، التي يتذمر فيها من تأخر وصول التيار الكهربائي إلى هذه المنطقة من مناطق الكويت:

القادسية مقدّسه
والكهربا فيها حرام
صار الضوا للمدرسه
واحنا مع المسجد ظلام
الشيخ والله ما نسى
مير السبب ولد الحرام
هو يدعي بالهندسة
لا شك ما يمشي تمام(٦٤)

ولا يقتصر هذا الشكل الصياغي على القصائد ذوات الأوزان الخفيفة، بل يتعدى ذلك إلى أوزان شعرية أخرى كما في قصيدة «ثوروا على الدنيا». يقول:

ثوروا على الدنيا بني عم واخوان
والا ترى الضد ما تقدرونه
هذا اليهودي إن كان هو بالعهد خان
معريه حد السيف صقه قرونه
مثل البغل هو يدعي خاله حصان
وينسى أبوه حمير يركبونه(٦٥)

وثانيهما: التزام الشاعر بشكل القصيدة التقليدية في إيراد قافية موحدة في عجز الأبيات كما في قصيدته «الكويت ربتنا وفيها ربينا»، يقول فيها مشيدا بفضل وطنه الكويت الذي يكن له عميق الحب والولاء:

الكويت ربتنا وفيها ربينا
هي أمنا واحنا ترانا عيالها
ودار ربتنا وربت جدودنا
والكل منا رابي في ظلالها
دار تدللنا على كل حزّه
أهي تدللنا وحنا دلالها
دار كستنا العز وثوب الجمايل
هل كيف ننساها وننسى جمالها
والله لو دوّرت بالشرق كله
ودرت الجنوب وغربها مع شمالها
حرام ما تلقى بالأوطان مثلها
ولا يعوضك بالبلادين بدالها(٦٦)

ويستطرد الشاعر معددا أفضال الكويت التي جاوزت القريب إلى الغريب المطرود من بلده، والذي أخنى عليه الدهر فوجد في الكويت الوطن البديل والملاذ الآمن، ثم يشيد بدور آل الصباح في الدفاع عن الكويت وحمايتها من الأعداء الطامعين فيها:

مزيان للمطرود واللي مجلا
ومن صكّته سود الليالي عنى لها
دار السعد والجود والمجد والكرم
على العرب تمطر سحايب حلالها
دار الصباح اللي بعزم حموها
عدوها لا تظن بيده ينالها
جد راودوها الروم والترك والعجم
وأولاد سالم أوقفوا دون جالها
بر وبحر بالبنادق حموها
خاضوا المعارك ما خشوا من اهوالها(٦٧)

ثانيا: النظام المقطعي

وهو قالب فني معروف في الشعر الشعبي. ويصوغ فيه الشاعر قصيدته على هيئة مقطوعات، يحل فيها الشطر محل البيت في كونه الوحدة العضوية للقصيدة.

ويرتكز بناء القصيدة المقطعية لدى زيد الحرب على نموذجين فنيين:

١- نموذج رباعي، يقوم على إيراد أربعة أشطر تتفق فيها قافية الأشطر الثلاثة الأولى، ويأتي الشطر الرابع مستقلا بقافيته ووزنه. ويردف الشاعر هذه المقطوعة بمقطوعات أخرى على النسق نفسه، ولكن بقافية مختلفة في الأشطر الثلاثة الأولى. بينما تتحدد قافية الشطر الرابع على امتداد القصيدة، وتكون بمنزلة قفل يتكرر في خواتم المقطوعات.

وتتفق هذه التركيبة الفنية مع أشكال الشعر الشعبي المعروفة في التراث العربي وبالأخص شعر الموال. ومعلوم أن الموال شاع في العصر العباسي وانتشر في أرجاء الوطن العربي، وتفنن الشعراء في أشكال نظمه، فظهر منه الشكل الرباعي بألوانه البنائية والخماسي والسداسي والسباعي. وبالغ بعض الشعراء في إيراد أشطر تجاوزت المئات، وهو اللون الذي اصطلح عليه بالموال القصصي أو البالاد(٦٨).

ومن أشهر القصائد الرباعية للشاعر زيد الحرب قصيدة «عسر الدهر»التي استشهدنا بها في معرض حديثنا عن ملامح شعره. ونرجح أن يكون الشاعر قد استوحاها من التراث الغنائي البحري. ولذلك صاغها على هيئة مقطوعات رباعية تنسجم مع موضوع القصيدة، الذي يتناول الخلاف الدائر بين أصحاب السفن والبحارة حول دفع مخصصاتهم.

ونستشهد بمقاطع من قصيدة أخرى صاغها على النظام نفسه مع اختلاف الوزن وهي قصيدة «الوطن أول وتالي»، إحدى قصائد الشاعر الوطنية، يقول فيها:

الـــــــــوطـــــــــن أول وتـــــــــالـــــــــي
نـشـــــــــتـــــــــريـه بـكـل غـــــــــالـي
نـبـــــــــفـي المـرقـب الـعـــــــــالـي
ونجـــــــــمع الـراي الـرشـــــــــيـــــــــد
الـوطـن زيـنـه اطـبـــــــــاعـــــــــه
مـــــــــحـــــــــد مـن الـشـــــــــعـب بـاعـــــــــه
كـلـنـا بمـــــــــر وطـــــــــاعـــــــــه
بخـــــــــدمـــــــــتـــــــــه نمـشـي عـــــــــبـــــــــيـــــــــد(٦٩)

٢- نموذج ثلاثي تتفق فيه قافية الشطرين الأولى والثانية، وتنفرد الثالثة بقافيتها ووزنها، كما في قصيدة الشاعر الساخرة «قال الراوي» التي أوردنا

نصها في معرض الحديث عن سمات شعره. والملاحظ أن زيد الحرب لم ينظم قصيدة أخرى على هذا المنوال فيما ورد في الديوان.

خلاصة

بعد هذه الرحلة الشيقة في ثنايا فكر الشاعر زيد الحرب وتضاعيف شعره، نخلص إلى ما يلي:

أولا: زيد الحرب شاعر شعبي بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لا لأنه اختار العامية وعاء لصب أفكاره، بل لأنه عزف على وتر الوجدان الجمعي بمقدرة نادرة لم يضاهها شاعر آخر سواء على الصعيد المحلي أو القومي. ولهذا السبب ذاع شعره بين أبناء مجتمعه ممن وجدوا فيه مرآة عاكسة لمشاكلهم اليومية، جاوز فيها الشاعر الطرح المجرد لتلك المشاكل إلى إبداء الرأي واقتراح سبل التقويم والمعالجة.

الشاعر زيد الحرب وظف إبداعه الشعري لغايات تسامت كثيرا على المنفعة الذاتية، فلم نسمع في شعره إلا توق الشعب إلى حياة أفضل. وهذا ملمح آخر من ملامح الإبداع الشعبي، يصبح فيه الإبداع صوت الناس المسموع، ورسالتهم إلى ضمائر الحكام. ناهيك عن تميز شعر زيد الحرب بالصدق والتلقائية، وهما سمتان غالبتان على الشعر الشعبي.

ولا تفوتنا الإشارة إلى خصيصة الشفاهية، وهي علامة بارزة في المأثور الشعبي. فالفنان في مرحلة ما قبل التدوين، كان يتداول عصارة أفكاره بالنقل الشفهي. ولم تنل الكتابة التي ظهرت فيما بعد، من هذه الظاهرة التي استمرت قوة كامنة توجه المأثور الشعبي نحو غاياته المنشودة. ولم يؤثر فيها اتجاه بعض الفنانين أو بعض أقربائهم إلى تدوين مؤلفاتهم على سبيل الحفظ والتوثيق. فإبداعهم انتشر أصلا بالنقل الشفهي.

ومعلوم أن قصائد زيد الحرب شاعت بين الناس إنشادا وغناء قبل صدور ديوانه بسنوات طويلة. واعترفت فيه ابنته التي تعهدت بإصداره، بضياع كم كبير من شعره.

ثانيا: زيد الحرب روح شفافة جالت مسالك الحياة ودروب الزمن لتنثر عبق الحب والسلام، وترسم صورة العيش الأمثل. وهذه الروح الهائمة نجحت في تحقيق أمنيات ونبوءات أسعدت صاحبها حينا وأرقته أحيانا بخوفه عليها من التداعي والانهيار.

وليس أدل على ذلك من تنبئه بالثورتين المصرية عام ١٩٥٢ والعراقية عام ١٩٥٨.

تقول غنيمة زيد الحرب في الديوان: وكان الشاعر، إلى جانب وعيه السياسي والقومي، يتمتع بنوع من الحدس السياسي، يتمثل في التنبؤ ببعض الأحداث السياسية في بلد معين، مستشهدا بما يحدث في بلد آخر في ظروف مشابهة.

فقد تنبأ بالثورة المصرية التي حدثت في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، وكان هذا في عام ١٩٥١ عندما أمم رئيس وزراء إيران في ذلك الوقت شركات النفط الأجنبية في إيران:

إن كان في مصر صناديد ورجال
ما صار في (طهران) فيها بصير
وإن عاش له (النحاس) وزانت الأحوال
ما عاد له بالشرق مفرش حصير
واذنابه الخوان كنازة المال
لا بد ما يرغون عقب الهدير
طاح الجمل والشيل من غاريه مال
كثروا سكاكين اللحم للبعير(٧٠)

وتضيف قائلة: وقد لا يكون التنبؤ بالثورة حدثا غريبا في حد ذاته، ولكنه يكون كذلك عندما يحدد الشاعر شهر يوليو موعدا لقيام الثورة العراقية التي حدثت في ١٤ يوليو عام ١٩٥٨.

والشاهد على ما نقول الأبيات الأولى من قصيدة قالها الشاعر إثر أحداث الحرب الأهلية في لبنان في ذلك الوقت:

لا شك فيهم ذل مما يخافون
خوف تثور شعوبهم سر وجهار
وهذا صحيح العلم لازم يثورون
ما يلبسون الذل فروخ الأحرار
أما بشهر (آب) والا بتمون
يجيك من (بغداد) تفصيل الأخبار
أصبر قليل شوي وفيهم تشوفون
ما صار في لبنان بيعم الأقطار

ولا بـد مـــــــا يـوم بـه الحـــــــرب بـيـكـون
بين العـــرب والغـــرب بتــشـــتـــعل نـار...(٧١)

ثالثا: لا يختلف بناء القصيدة لدى زيد الحرب عن غيره من أنواع الشعر الشعبي المعروفة في البيئات العربية. فهو إما أن يلتزم بشكل القصيدة العمودية ذات القافية الواحدة أو المزدوجة، أو يصاغ على نسق المقطوعات متعددة القوافي.

رابعا: تخضع قصائد زيد الحرب لأوزان الشعر العربي، كما تجمعها أوجه شبه مع أوزان استخرجها بعض دارسي الشعر النبطي وعدوها بحورا خاصة به(٧٢).

وتجدر الإشارة إلى أن بحر البسيط من البحور التي استهوت شعراء العامية، فصاغوا عليه أغلب أشعارهم، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات اللهجية بين مناطق الوطن العربي، وتأثر الشاعر بالظواهر اللغوية الخاصة بلهجته كقلب الحروف والإبدال والمد والإدغام، بالإضافة إلى بعض السمات ذات الصلة بمخارج الحروف التي تسوغ للشاعر إيجاد التقارب الصوتي بين قوافي القصيدة. وتبدو هذه السمات اللغوية أكثر وضوحا لدى سكان الخليج العربي.

والملاحظ أن هذه الظواهر التي ميزت لهجات الخليج لم تحل بين الشاعر وأدواته الإبداعية بل على عكس ذلك، أمدته بمعين لا ينضب من المفردات والتعابير التي أعانته كثيرا، وأثرت تجربته الشعرية ليحقق الغاية التي ينشدها.

ويبدو ذلك واضحا في شعر زيد الحرب. فعلى الرغم من تنوع بحور الشعر لديه بين البسيط والمتدارك والرمل مع مراعاة ما يطرأ على هذه البحور من علل ناجمة عن طبيعة اللهجة المحلية، فإن الشاعر نجح كثيرا في تطويع هذه الملامح اللغوية في التعبير عن آرائه وأفكاره بحرية شديدة. ولا نغفل ظاهرة اللحن التي يلجأ إليها الشاعر أحيانا للضرورة الشعرية، وهي ملمح بارز في الشعر الشعبي.

ومما يسترعي الانتباه، وجود نماذج من أوزان الشعر النبطي مندسة بين طيات قصائد زيد الحرب. وهذا يدحض زعم بعض الدارسين أن الشعر النبطي ظاهرة مستقلة عن الشعر الشعبي، وهم يرتكزون في دعواهم على طبيعة لهجته البدوية وبحوره المستقلة من جهة، وعلى كونه سجلا حافلا بالوقائع والمعارك التي دارت بين القبائل. وسوف نناقش هذه المقولات بعد استعراض نماذج من شعر زيد الحرب تتماثل مع أوزان الشعر النبطي، منها قوله:

يا غـــيــمـــة جـــتنا بهــا رعـــود وبروق
تمطر ولا شـــفـنـا عـلى الأرض مــــاهـا

يشبه البيت المنسوب إلى أحد شعراء النبط:

يقـــول الخــلاوي حـــاضــر الراي صــايبــه
مـصــاب الحـشــا مــا دهي بادها مـصـايبـه(٧٣)

وهو من بحر الهلالي.

وقوله:

الـكـويت ربّتنـا وفـــيــهـــا ربينـا
هـي أمـنـا واحنـا تـرانـا عـــيـــالهـــا

جاء قريب الشبه بالبيت القائل:

نـفــــسـي تمـنـيـنـي لـرقـي الـسـنـودي
مـع لايتن عـلـى الـزعـــلان والخـــد ممـدود(٧٤)

وهو من بحر المسحوب.

وفي قوله في الفنانة عودة المهنا:

عـــــودة المـهـنـا تـشــــيـل فـنـون
وتـواجــب الـصـــــــوت بـالـطـاره
بن حـــرب في كـــاظـمـــة مــســجـون
عـنـد الـكـفـــــر ضـــاعـت أفـكـاره

يشبه في الوزن بحر الهجيني:

يـاحـــمـــود أنـا عـــارضـي شـــابي
طـرد الـهـــوى جــــزت أنـا مـنـه(٧٥)

ولعل هذا التشابه بين أوزان الشعر النبطي والشعبي يقنع البعض بعدم جدوى التمييز بين أنماط الشعر الشعبي،مما تتوافر فيه الشروط المطلوبة لهذا اللون من النشاط الإنساني(٧٦).

ومن هذا المنطلق نود التنويه ببعض الحقائق التي تمد جسور التواصل بين الاثنين وتجمعهما تحت مظلة واحدة:

أولاها: إن العلاقة الحميمة بين الشعر الشعبي والغناء، طوعت أوزانه لملاءمة الألحان، وهذا يدفعنا إلى تأكيد أهمية الظواهر اللغوية التي تحدث وقد أشرنا إليها آنفا كالمد والإدغام والقصر، والتي تطرأ على النص لملء الفترة

الزمنية التي يستغرقها اللحن. وهذه الظاهرة الواضحة في الشعر الشعبي، ربما أوحت إلى البعض بوجود بحور خاصة بالشعر النبطي.

ثانيها: إن أوزان الشعر العربي سواء الفصيح منه أو العامي، مستمدة من طبيعة اللغة العربية وخصوصية تراكيبها. فاللغة العربية لغة مقطعية يتراوح فيها المقطع بين الطول والقصر.

وعلى أساس هذه الطبيعة المتفردة صاغ علماء العرب نظرياتهم العروضية. بالإضافة إلى دراستهم الشعر العربي الذي نشأ في مراحل متقدمة جدا على ظهور تلك النظريات.

وهذا دليل ساطع على أن أوزان الشعر العربي مهما اعتراها من عيوب اللغة أو اللهجة، فإن قواعدها الأساسية تبقى ثابتة تدور في فلكها كل أشكال النظم.

ثالثها: لا تصلح لغة القصيدة أو أغراضها أو ألوانها العروضية معايير للحكم على مدى شعبيتها أو النظر إليها على أنها نوع مستقل من الشعر. لأن هنالك خصائص متعارفا عليها بين دارسي المأثور الشعبي، للتمييز بينه وبين أنماط الإبداع الأخرى أشرنا إليها آنفا. كما أن موضوعات القصيدة النبطية لم تخرج عن دائرة الموضوعات التي استرعت اهتمام الشاعر العربي منذ القدم، مع ملاحظة التغير الذي يعتريها بتغير الزمان والمكان. ونرجح أن تكون هذه المظاهر حافزا مشجعا على عقد دراسات مقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر النبطي، بعضها باللغة العربية والبعض الآخر بلغات أجنبية، استرشد فيها الباحثون ببعض نظريات الفولكلور المعاصرة[٧٧].

هوامش

1 حصة الرفاعي، أغاني البحر في الكويت: دراسة فولكلورية، الكويت: ١٩٨٥، ص٩٨.
2 غنيمة زيد الحرب، ديوان زيد الحرب، الكويت: ١٩٧٨، ص١٩٥.
3 الديوان ص١٤.
4 الديوان ص٢٤.
5 أغاني البحر، ص١٤٣.
6 أمهات أم خمس: البنادق.
7 الديوان، ص١٥٠.
8 أغاني البحر، ص١٧٥-٢٤٥.
9 شابح زنودي: مقيّد يديّ.
10 زلّ: حلّ، سقمونا: دفعوا أجورنا، والتسقام: مقدم سلف يدفعه التاجر للبحار قبل رحلة السفر التجاري.
11 خمسة أهلة: خمسة شهور.
12 البنابيس: العبيد.
13 نهايب: عرضة للسرقة.
14 عبدالله العتيبي، دراسات في الشعر الشعبي الكويتي، الكويت: ١٩٨٤، ص١٨.
15 هج: غادر.
16 العيس: الإبل.
17 الديوان، ص٧٦.
18 حصة الرفاعي، الفولكلور وقضية المصطلح، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد ١٩٩٧:٦٠، ص٢٤.
19 الديوان: ص١٦.

20 المرجع نفسه: ص٢٨-٢٩.

21 الصاع: وحدة وزن.

22 شين: سيئ.

23 الديوان ص١٥٤.

24 حصة الرفاعي، الفولكلور والعلوم الإنسانية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٤٦:١٩٩٤، ص٢٩.

25 نركد (بالكاف الفارسية): ننام.

26 الزل: السجاد.

27 الديوان، ص٩٧.

28 نومس: استبد.

29 ترس: ملأ.

30 الديوان ص١١٤.

31 يقضب: يمسك.

32 عود: كبير السن، الديوان، ص١٣٧.

33 العاجل: العاقل.

34 هير: مغاص.

35 الطوّاش: تاجر اللؤلؤ.

36 جمبازية: مخادعون.

37 باق: سرق.

38 طمباخية: كرة.

39 العوجية: العصا الغليظة.

40 الديوان، ص١٥٧.

41 ذراها - ظلها.

42 نكد: نسعى في طلب الرزق.

43 الغيص: الغواص، السيب: مساعد الغواص.

44 الديوان، ص١٨-١٩.

45 الغبيبة: الطعام البائت، ورد نص القصيدة كاملا ص٧٠ من الديوان.

46 الرعابيب: الملاح، حدر: تحت.

47 الين: حتى.

48 الرواجيب: الحسّاد، الواش، النمام ٣٠ - الديوان، ص٩٢.

49 هلبت: يمكن.

50 العراجيب: الخداع.

51 الهيب: القضيب.

52 الديوان: ١٠٩.

53 أشار عمر الدقاق إلى تأثر عبدالله بن المقفع بهذه الفلسفة نتيجة ترجمته حكايات كليلة ودمنة عن الفارسية. وهي ذات أصل هندي، عمر الدقاق، ملامح النثر العباسي، بيروت، لم تذكر سنة طبع، ص١١٠-١١١.

54 الفولكلور والعلوم الإنسانية، ص٤٦.

55 الديوان، ص٩٣.

56 الديوان، ص٣٩.

57 الديوان، ص٥٨.

58 الديوان، ص٩٥.

59 يطشرون: ينثرون.

60 لابسات القلايد: النساء.

61 الديوان: ٣١.

62 كار: شأن.

63 الديوان، ص١٩٧.

64 الديوان، ص٩١.

65 الديوان، ص٢٥.

66 الديوان، البلادين: البلدان.

67 الديوان، ص٥٣.

68 أغاني البحر في الكويت، ص١٧٥-١٨٥.

69 الديوان، ص٤٧.

70 الديوان، ص٣٩.

71 الديوان، ص٤٠.

72 راجع كتاب طلال السعيد، الشعر النبطي، أصله، تطور فنونه وأوزانه، الكويت: ١٩٨١، ص٢٦-٥٣.

73 المصدر نفسه.

74 المصدر نفسه.

75 المصدر نفسه.

76 المصدر نفسه، ص١٢٤.

77 راجع: عبدالله بن خميس، الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح، بحث مقدم في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول، مكة المكرمة: ١٩٧٤، ج٢، ص٦٧٧-٦٩٦.

وأيضا:

M. Zwettler. The Oral Tradition of Classical Arabic Poetry: its Character And Implications. Ohio State University Press: 1975.

تعقيب د. صباح السويفان
على منارة
الأستاذ زيد الحرب

التعقيب على المنارة

د. صباح السويفان (*)

شاعرنا شاعر عظيم له باع طويلة في الثقافة الشعبية الكويتية والوطنية، والتاريخية، وله فضل على أهل الكويت، فهو الشاعر المولود في منطقة شرق بالكويت عام ١٨٨٧م، زيد بن عبدالله بن إبراهيم الحرب.

وباحثتنا الدكتورة صاحبة الباع الكبيرة في الدراسات الشعبية، فكأنه قد «وافق شن طبقه». وقد أظهرت لنا باحثتنا الأكاديمية المبدعة في شعر شاعرنا معاني سامية، ومعلومات ثرية، وإحساسا مرهفا تأثرا بالجو المحيط به.

تقول الشاعرة غنيمة زيد الحرب إن والدها الشاعر زيد الحرب بدأ في كتابة الشعر منذ فترة المراهقة في السادسة عشرة من عمره وكان أغلب شعره في ذلك الوقت شعرا غزليا، إلا أنه مع مرور السنين كبر وكبرت القضايا التي بات يتنبه إليها ليعالجها في شعره، خاصة أن أدواته الإبداعية بدأت تتضج تزامنا مع أفكاره التي نضجت بسرعة لطبيعة الحياة والظروف التي كان يعيشها.

وقد أظهرت لنا الدكتورة حصة الرفاعي جوانب من حياته وشعره، وأتحفتنا بقصائد ونماذج من شعره الشعبي والفصيح، إذ يعتبر الشاعر زيد الحرب أحد أهم شعراء العامية في الكويت نظرا إلى مواقفه الإنسانية والاجتماعية التي ترجمها شعرا فاستحق بذلك المكانة التي تقلدها، وقد عاش الشاعر خمسا وثمانين سنة أثراها بأحاسيسه، وعاشها بوجدانه، مخلفا وراءه ديوانه الشعري الذي جمعته ابنته البارة غنيمة.

ومن العبر التي نأخذها من شاعرنا هذا، أنه كان أميا لكنه علم الذين يقرؤون ويكتبون، فقد عمل بالصيد والتجارة، وفقد بصره في مرحلة من عمره، لكن بصيرته النافذة ظلت ترى ما وراء الحجب. فجمع القديم والمعاصر حيث ربط عداوة اليهود التاريخية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما يحدث في فلسطين.

(*) من مواليد الكويت عام ١٩٥٩.

- حاصل على الدكتوراه في الفلسفة في تخصص الأدب المقارن والعالمي - النظرية النقدية الحديثة من جامعة البرتا - كندا، يناير ٢٠٠١.

- عضو هيئة تدريس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب، جامعة الكويت.

وربط المحلي بالعالمي فمدح عبدالناصر، وعاش قضايا الأمة العربية، كما دعا له بالنصر والسيادة على جزيرة قبرص ومضيق جبل طارق وطور سيناء، حيث إنه بذلك يحكم مداخل قناة السويس.

وكان يأمل في وحدة العرب ويرد على من يريد إدخال العداوة بينهم.

ولا يترك قضاياه المحلية، فنراه يرد على عبدالكريم قاسم في زعمه بالحق التاريخي للعراق في الكويت.

ويعبر عن هموم الشعب الفلسطيني ومقاومته للاحتلال، وقد أنشد في ذلك القصائد معبرا عن إحساس المسلم الغيور على وطنه، ويظهر إيمانه العميق بوحدانية الله في قصيدته «قل هو الله أحد» وذكره للتوحيد والجهاد بدافع إيماني.

وقد أفاضت الدكتورة في بحثها القيم «زيد الحرب الفنان الإنسان» ذاكرة ملخصا لحياته، وكيف أنه جاهد قوى الظلم ومواطن الفساد التي أودت بمجد العرب، وأنه برغم أميته فإن إبداعه الشعري يدل على فطنة وذكاء، وقد ذكرت لنا الدكتورة من شعره النماذج الكافية.

وذكرت من معاني شعر زيد أنه كان لسان حال الأمة والمجتمع، وتستدل على معايشته لمجتمعه بقصيدته «عسر الدهر» التي نظمها عام كساد تجارة اللؤلؤ سنة ١٩٢٩م مصورا حال البحارة والتجارة.

ومخاطبته أمير البلاد للاستعانة بالعمالة الوطنية لما يتوافر لها من إخلاص لا يتوافر لدى الأجنبي.

وبذلك نرى اكتساب شعر زيد الحرب أهمية التعبير عن وجدان أمته ومجتمعه. ولا تفوتنا نظرة د. حصة إلى فلسفة الحياة عند الشاعر ومزجه بين الأنا والنحن، بين الضمير الفردي والجمعي، وعمق معانيه، ولفتتها الذكية إلى رمزية الزمان والمكان في شعره.

وقد كتب الشاعر زيد الحرب مجموعة كبيرة من القصائد التي تناقش كل أغراض الشعر بدءا بالشعر الغزلي ومرورا بالرثاء وبالهجاء وبالشكوى وبالحماسة وانتهاء بالقصائد الوطنية والقومية. ويصنف الشاعر زيد الحرب كشاعر شعبي نبطي، ولا يمكن اعتبار ذلك نقطة ضعف لأن فهم الشعر المكتوب باللغة العربية الفصحى في ذلك الوقت كان محدودا أو شبه معدوم، علما أن الحرف العامي بإمكانه أن يمارس عملية بث الوعي وأن يحقق عملية التثقيف، خاصة أن الشاعر في ذلك الوقت يعتبر بمنزلة وزارة الإعلام أو اللسان الناطق المعبر عن آمال المجتمع وآلامه، كما أن شعر الشعراء، ومنهم شاعرنا، يسجل

بعض الأحداث القومية والوطنية ويوثقها، إضافة إلى طرح أحداث المجالين الاجتماعي والسياسي. ولم ينس شاعرنا البحار/ النوخذة أن يتنفس برئة البحارة الذين كانوا يعانون الجوع والظمأ في البحر.

ولم تكن قصائده سطحية ولكننا وجدناه يستخدم الرمز في شعره، وكأنه شاعر حداثي مثقف يعي عملية الترميز ويبث الدهشة لدى المتلقي ويبتعد عن المباشرة والتقريرية، وقد احتوت قصيدته على ثلاث شخصيات هي: الفتاة التي ترمز إلى فلسطين، والعجوز: التي ترمز إلى إسرائيل، وأخيرا شخصية الشاعر المحب وهو يمثل الإنسان العربي المصر على استعادة حقه المغتصب، ويرفض الصلح مع إسرائيل، ويصور شاعرنا محاولات العجوز وإغراءه، وهو يرفض ذلك فيقول:

قالت: تعال بذل واعمل معي طيب
واصير أنا وياك صدقان واصحاب
قلت: أنت عجوز «خيبر» امنين لك طيب
واحنا مع خيبر في جهاد واحراب
تبسمت تضحك وقالت لي ظلك مصيب
مير، خذنا القرايا ثم غدينا بالاسلاب
قلت: اصبري نعيد كرة تلابيب
ربعي ضواري ما يتلقون بكلاب
قالت: نعم، اسباع بليا مخالب
ليوث مير حلوجهم ما بها انياب

ولأن العرب يحبون الكلمة .. ويتأثرون بها لما تحمله من سحر وبيان وجمال ... فإن الشعراء يحرصون على الإبداع في الغزل ومنهم شاعرنا الذي يتغزل بمحبوبته التي شبهها ببراق الغيوم إذ يقول:

يا علي ما شفت براق الغيوم
واضح الخدين في دوج الظلام
بو ثليل فوق متنينه ردوم
والنهود اللي كما بيض الحمام
والخشم كالسيف قصاص الحزوم
سله الهندي فصام العظام
ذا خليلي ما هقا عني يشوم
ولو وقفوا للترف في عسكر نظام

يا علي كنه علينا يبـــــــيـــــزوم
مـــــا عـــــرفنا يا علي شنهـــوا المرام
كـــان صــــيـــــده يا علي عــــز يدوم
من لجــا بحــمـــاي مــــا والله يضـــام
كـــان صــيـــــده يا علي ســـتـــر الهــدوم
ضـــــافي ســــتـــــره على كل الأنام
كـــان صـــيـــــده يا علي يصلي ويصـــوم
تـــايـب لــلـــه عـــن درب الحـــــــــرام
لـي قـــــصـــــد للدين لازم له أقـــوم
يتـــــبع مــــا قـــــول وأنا لـه امــــام
يـــا عـــلـــي قـــلـــه اعـــلـــمـــنـــي لـــزوم
لا يخلف العلم بالهــــرج التـــمــــام

ويعبر عن وجدانه المتدفق بالحب نحو حبيبته الجميلة التي وصفها وصفا جميلا يعكس هيامه بها، وقد كتب قصيدته في محبوبته على منوال «فن النجدي» وهو وزن خاص بالشعر العامي إذ يقول:

يعقوب قلبي مزعه سحاب الاردان	ظبي النفــــــودي
ابو نهود بالحشا تفاح بستان	بيج ســـــــدودي
له غره وأن شعشعث قلت القمر بان	يزهى العـــقـــودي

وها هو ابن خلدون يقول:

«ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة. وفيهم الفحول والمتأخرون، والكثير من المنتحلين للعلوم في هذا العهد، وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمج نظمهم إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانه وفقدان الإعراب منها، وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليما من الآفات في فطرته ونظره ... إلخ».

(انظر المقدمة ص ١٣١٦ تحقيق علي عبد الواحد وافي)

توفي الشاعر زيد الحرب في ٢٥ فبراير ١٩٧٢ عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاما قضاها بالكفاح في الحياة، وكان من دعاة الإصلاح من خلال شعره الذي يتنفس برئة الشعب محاكيا تطور مجتمعه، فرحمه الله رحمة واسعة وبارك في ذريته.

زيد الحرب...

الشاعر والإنسان

غنيمة زيد الحرب

غنيمة زيد الحرب

عبق من عهد بعيد، أخذ يتجدد في أفق النفس حينما كلفني المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالمساهمة في الكتاب المعنون بـ «منارة زيد الحرب والعزف على أوتار الأمة»، الذي تفضلت بكتابته الدكتورة الباحثة حصة الرفاعي، فأعطته من الجهد والتركيز الشيء الكثير.

وعلى الرغم من سعادتي بتكليفي بهذه المهمة، فإنني شعرت بثقل المسؤولية نظرا إلى كون هذا الرجل .. أبي، وهذا أمر قد يؤدي إلى تقليص مصداقية حكمي عليه في نظر القارئ، وفي الوقت ذاته - ولكونه أبي أيضا - فأنا أعرفه أكثر من غيري، ما يفرض علي إنصافه بعيدا عن الخوف من حكم الآخر أو اتهامه لي بالانحياز.

فلهذا الرجل من المواقف والأخلاق ما يجب أن يطلع عليه أبناء هذا الجيل، الذين نجد عند الكثيرين منهم الشغف بالتعرف على حياة الآباء والأجداد، وتحجيم المسافة بينهم وبين السابقين من الشعراء والمفكرين وغيرهم ممن بنوا هذه الأرض ووضعوا أساسها للأجيال اللاحقة.

وأنا هنا لن أضيف الكثير إلى بحث الدكتورة حصة، كوني أكتب مقدمة(*) وحسب، وليس بحثا أو دراسة حتى أوفي الموضوع حقه، لكنني سأحاول تسليط الضوء على بعض الأمور المهمة في هذا الشأن.

الذات الشاعرة وحضور الآخر فيها

لم يسع الشاعر زيد الحرب إلى أن يكون شاعرا، بل وجد نفسه - دون قصد منه - يتسرب في عروقه الشعر كما تتسرب المياه العذبة في جذور النباتات فتبعث فيها الحياة والجمال والظل.. ولهذا جاء شعره عفويا، قريبا من القلب.

ولعل نفسه الشاعرة قد سعت إلى المبادرة في تكوين هيكل هذا المجتمع من خلال الحث على البناء، بل المشاركة الفعلية في العمل من أجل تقدم الكويت ورقيها، وخوض المعارك في سبيل حريتها وكرامتها.

---

* كان من المفروض أن تكون هذه المقالة مقدمة ولكنها رحلت الى نهاية الكتاب نظراً لاسهابي في التفاصيل - كما سبق الاشارة - في مقدمة الكتاب.

وبما أن النفس التي تسعى إلى المبادرة لا تكتفي بحدود واجباتها بل تتعدى ذلك إلى ما هو أبعد، فقد وجد الشاعر نفسه مهموما بالأرض العربية يتنفس قضاياها، ويساهم في تحمل مسؤولياتها في خضم الأحداث الجسام التي تعرضت وتتعرض لها هذه البقعة منذ أزمنة بعيدة.

لقد دافع عن حقوق هذه الأمة بالكلمة، وكان تواقا إلى المشاركة بالدم والروح - كما فعل مع وطنه - ولكن الفرصة لم تتهيأ له لتحقيق هذه الأمنية.

ونفس كهذه تسكنها هموم الأمة، وتحركها مشاعر إنسانية دفاقة، لا تكتفي بما هو كويتي أو عربي بل تمتد بجذورها إلى إنسانيتها الواسعة حتى تشمل الكون كله.

إذن لقد كان الشاعر زيد الحرب شاعرا كونيا مهموما بوطنه وأمته وإنسانيته، وحتى نتعرف على دوافع اهتمامه بالكون من حوله، لا بد أن نتعرف إلى هذا الرجل من الداخل ونسلط الضوء على زوايا ومناطق هذه الذات التي احتضنت العالم بأسره.

الانبثاق من الداخل إلى الخارج

لقد سعى الشاعر إلى تدريب ذاته ورعايتها وتهذيبها بالمحبة المطلقة، والانطلاق بها إلى الآخر، أي أن التركيز لديه على الآخر ينبثق من احترام الذات ورقيها وابتعادها عن الأنانية والسوداوية والانسحاب، بل على العكس من ذلك كانت تمتلك من الصفات ما يؤهلها لتأدية الدور الذي كلفها به صاحبها، فهي تمتلك الشجاعة والقوة والأمل والصبر على الدنيا وأصحابها، كما تمتلك النظرة الثاقبة إلى أعماق الأشياء والبدء منها، أي إنه يبدأ الانطلاق من الداخل إلى الخارج، وعلى الرغم مما يبدو في شعره من اهتمام بارز بالعالم الخارجي - وهذا صحيح - فإن الوصول إلى هذا العالم كان يتم لديه من نقطة الذات، وهذا ما يجعله صادقا .. حقيقيا وصائبا.

ركائز شخصية زيد الحرب

أول ما تأخذنا سفينة الإبحار إلى أعماق هذا الرجل، تبهرنا لآلئ المعرفة الصادرة عن نفس صافية تعشق الوطن والأمة بقدر عشقها لذاتها وأسرتها، وتشدنا شهادة صادقة على عصور خلت كان للأمة فيها شأن آخر غير ماهي عليه في وقتنا الحاضر، كما يسحرنا البيان المنبثق عن فكر حر لا يخشى إلا الله ولا يبتغي غير الحقيقة هدفا.

ترتكز شخصية الشاعر زيد الحرب - بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفا - على عدة ركائز، منها عزة النفس، قوة الشخصية، الشجاعة الأدبية، الصراحة، وصفات كثيرة من بينها - بل لعل أهمها - الذكاء الفطري الذي يظهر في قصائده بصورة عامة، ويتألق - بصورة خاصة - في شفافيته ومقدرته على الحدس والتنبؤ بالمستقبل على ضوء معطيات الماضي واستقراء التاريخ والاستفادة منه من جهة، ومن الأحداث المعاصرة ومؤشرات الحاضر من جهة أخرى. وذلك لإقامة صرح المستقبل على هاتين الركيزتين والتنبؤ بالآتي على ضوءيهما، كما أنه قد اتخذ من المكان وسيلة للاستشهاد على ما يدور من وقائع في مكان ما والتنبؤ بمثيل لها في مكان آخر، مشابه لها في البيئة والأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهذا ما جعله يصوغ لنا التاريخ في قصائد رائعة تجعل له وجها آخر، فقراءة التاريخ شعرا قد تحقق للمتلقي متعة مضاعفة، هي متعة الشعر بالإضافة إلى متعة التاريخ كما أن الشعر أكثر انتشارا وأقرب إلى قلوب العامة منه إلى العلوم الأخرى ومن بينها التاريخ.

بروز الحدس في شعره والتنبؤ بأحداث قادمة

ولإيضاح هذه النقطة، نعطي أمثلة على بعض الوقائع التي تنبأ بها، والتي وقعت بالفعل.

فمن هذه القصائد - ذات الرؤية البعيدة - قصيدة حذر فيها من أطماع العراق في الكويت، وقد قال هذه القصيدة، في العهد الملكي إبان حكومة «نوري السعيد» الذي لقبه في قصيدته - وفي كثير من قصائده - بالشقي، وقد تطرق في هذه القصيدة إلى «حلف بغداد» الذي كان يضم العراق والأردن ودولا أخرى والذي انهار بانهيار النظام الملكي في العراق في ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

يقول في هذه القصيدة وهي قصيدة طويلة جميلة، نكتفي منها بالأبيات التالية(١):

وحلف مع بغداد عده معدومي
ترى دماره خير لك من عماره
وعز تريده بعزهم ما يدومي
غصن الشري لا تظن تحلى اثماره

إلى أن يقول:

ولا بد مــــابتـــــبـــــان بيض النجـــــوم

واللــي مــــــغطــي تنكشف لك اســــــــراره

واعـــــرف قـــصـــيـــر الســـو ياشـــيخ زومي

يضــــــحك وهـو خــــلافك ســــــواة المشــــاره

الصـــــبح ياتيكم صـــــديق مــــحــــشــــومي

وعـنـد الـدجـى يـرسـل عـليـكـم أشـــــــــراره

إلى أن يقول:

مــــيـــر انهـــضـــوا قـــبل «الشـــقي» لا يقـــوم

وقـظ بـه الـدخــــــان ســـــــده بحـــــجـــــاره

هذه الصورة الشعرية التي حذر الشاعر فيها من هجوم مباغت، تحولت إلى واقع ملموس في صبيحة الخميس ٢ أغسطس عام ١٩٩٠، حيث تم اجتياح الكويت في ذلك اليوم، أي أن ما حذر منه في العقد الخامس من القرن الماضي قد حدث بحذافيره في التسعينيات منه حين تهيأت الظروف.

وهناك أكثر من قصيدة تنبأ فيها بالمستقبل على ضوء معطيات الحاضر ومؤشراته، فقد تنبأ بحدوث ثورة في مصر تقضي على الإقطاع والرأسمالية، وتحرر الشعب من الاستعمار وأذنابه، وتعيد الحقوق لأصحابها ... وقد قال هذه القصيدة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعام واحد حيث امتدح رئيس وزراء إيران في ذلك الوقت، وهو السيد «مصدق» الذي قام بتأميم شركات النفط الأجنبية في إيران ١٩٥١، يقول في مطلع قصيدته(٢):

قــــالوا «مــــصـــــدق» قلت يصـــــدق بما قـــــال

غـــــــاسق وقب والسـم منـه يســـــــيــــــــر

هـذا الرجـل إن كــــان فـي الشـــــرق رجــــال

وهــذا الــوزيــر لــي قـــــــــيـل حـطـوا وزيـر

ثم يتطرق إلى جلاء القوات الأجنبية عن إيران، فيقول:

شــــوف أزرق العــــينين من ضـــريتـــه شـــال

مـن ظـن «عـــــبـــــادان» عـنـه ينـيــــــــر

شــــالوه «بكرين» المراكب ومـــــحـــــال

مـــا صــرفـــه الضـــرغـــام يركب بصــيـــر

وينتقل من الأحداث الساخنة في إيران، إلى التنبؤ بما سيحدث في «مصر» التي تقع تحت ظروف استعمارية مشابهة، فيقول:

ان كـــان في مـــصـــر صنـاديد ورجـــال
مـــا صـــار في طهـــران فـــيـــهـــا يصـــيـــر
وإن عـــاش لـه «الـنـحـــاس»(٣) وزانـت الأحـــوال
مـــا عـــاد لـه بالشـــرق مـــفـــرش حـــصـــيـــر
وأذنـــابـــه الخـــــــــــــوّان كـنـــازة المـــال
لا بـد مـــا يـرغـــون عـــقـــب الـهـــديـر
طاح الجـــمـل والـشـــيـل مـن غـــاريـه ســـال
كـــثـــروا سـكـاكـين الـلـحـم لـلـعـــيـــر
وعـــدوكـم لـي طـاح دوســـوه فـي الحـــال
تـرى أن نـهـض ينـهـق مـنـاهـق حـــمـــيـــر
تغـــانموا الفـــرصـــات لو شـــرب فنجـــال
تمـركـم مـــثـل الـســـحـــايـب تطـيـــر

وتتكرر هذه الرؤية الثاقبة في قصائد أخرى، كالقصيدة التي تناول فيها أحداث الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٥٨ والتي تنبأ من خلالها بثورة الأحرار في العراق على النظام الملكي، حيث تحقق هذا التنبؤ وتحول إلى واقع ملموس إثر حدوث ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨.

يقول في هذه القصيدة، مشيرا إلى «الشقي»، و «الوصي» وهما «نوري السعيد» رئيس وزراء العراق في العهد الملكي، والسيد «عبدالإله» خال الملك فيصل - ملك العراق - والوصي على عرشه، كما يشير في هذه القصيدة إلى «شمعون» وهو السيد كميل شمعون رئيس لبنان الأسبق.

يقول في هذه القصيدة(٤):

بهـــذا «الشـــقـي» و يا «الوصـي» وشـــتـــقـــولـون
تـزينـوا «لـنـدن» خـــبـــيـــثـين الأشـــوار
مـــا هي حـــمـــاســـة أو مـــحـــبـــة لـ «شـــمـــعـــون»
ولا هـي مـــودة أو حـــمـــيـــة على الجـــار
لا شـك فـــيـــهـم ذل ممـا يـخـــافـــون
خـــوف تثـــور شـــعـــوبـهم ســـر وجـــهـــار

وهـذا صـــــحـــــيح الـعـلـم لازم يـشـــــورون
مـــا يلبـــســـون الـذل فـــروخ الأحـــرار
إمـــــا بـشـــــهـــــر «تمـوز» ولاّ بـكـانـون
يجـيـك من «بغــداد» تفــصـيل الأخــبــار
اصـــبـــر قليل شـــوي وفــيــهـم تشـوفـون
ومـــــا صــــار فـي لـبـنـان بيـــعـم الأقـطـار
ويا نـاصـــر مـــوسـى على جـيش فـرعـــون
ويا نـاصــر جـــيش الصـــحــابة والانصـــار
إلا الـتـــقــــيـنـا بين طـاعـن ومطعـــون
«عــــبــدالنـاصــــر» تنصــره وين مـــا صـــار
وان كـــان «ايزنهـــور»(٥) بالحـــرب مـــفـتـــون
حـنـا نـريد الحـــرب ونـفـــرح إلـي صـــار
ومـن لا يـريد الحـــرب يـانـاس مـــجـنـون
ولاّ ذلـيـل لابس الـعـــيـب والـعـــار
أمــــا لـنـا والا عـلـيـنـا يـحـكـمـــون
والا طـــردنـــاهـــم مـــن كـــل الاديـــار

إلى أن يقول:

و«إيدن» (٦) يبـــينـا ملك بيــديـه مـــرهـون
ويبـــيـــعنا بيع المواشـي بـالاســـعـــار
والا الشـــقـي قلبـــه من الغش مـــشـــحـون
خــــان العــــراق وبـاع دينـه بـديـنـار
يـلـعـب عـلـى الحـــبـلـين في غـي وفـنـون
كـف بـه «الـدنـبـك»(٧) وكـف بـه الـطـار

زهد الشاعر في المال

تطرقنا في الفقرة الماضية إلى سمة من سمات الشاعر وهي شفافيته ومقدرته على استقراء الأحداث والتنبؤ - على ضوئها - بالمستقبل، وهذا دليل على ذكائه الفطري وثقافته الواسعة.

أما السمة الثانية التي سنتناولها بشيء من الإسهاب فهي قناعة الشاعر وزهده في المادة واحتقاره للمال، وقبل أن نتطرق إلى هذه السمة لا بد لنا من

أن نشير إلى ما ورد في بحث الدكتورة حصة الرفاعي فيما يتعلق بهذه النقطة، فقد فطنت الباحثة إلى زهد الشاعر وقناعته واستشهدت بقصيدة يقول فيها:

مـــــــــــا هــمــنــي المــال يــا نــاس لــو زاد
الخـــــــــيـــــــــر عـنـد الـلـه والارزاق وايـد

ثم أوردت أبياتا أخرى في قصيدة ثانية، وهي قصيدة «أجاهد الدنيا»(٨)، تقول أنها تدل على تأرجح فكر الشاعر وتغيير رأيه في مرحلة لاحقة، عما كان عليه في السابق من قناعة وزهد.

وقبل أن نرد على هذا الادعاء، لا بد أن نضع بين يدي القارئ النص كاملا - كما ورد في البحث ومن ثم نقوم بالرد عليه:

تقول الأخت حصة في بحثها القيم: «وتبقى بعض القصائد التي دلت بوضوح على تأرجح فكر الشاعر تبعا للظروف التي يمر بها، منها قصيدته التي يؤكد فيها قناعته وعدم حبه للمال، والتي تناقض أبياتا أخرى يقر فيها بأهمية المال وسيلة إلى نيل العز والسؤدد. وربما كان لظهور النفط وتغير أسلوب العيش في الكويت أثره في نفس الشاعر، ما أدى إلى تغير ملموس في بعض آرائه. فبينما يقول في إحدى قصائده.

مـــــــــــا هــمــنــي المــال يــا نــاس لــو زاد
الخـــــــــيـــــــــر عـنـد الـلـه والارزاق وايـد

يقول في الثانية:

إن كـــانٍ عندك مـــال يصـــيـــر لك كـــار
لَـونَك ســـواد الـليل قـــالوا قـــمـــرهـا
وإن كـــان مـــا تملـك مـن المال ديـنـار
أخـــيـــر بطـن الأرض لك من ظهـــرهـا
تـرى حـــيـــاة الـذل تـرث لـك العـــار
ومـــــوتك عـلى عـــز ارفع قـــدرهـا»

ثم تحاول الأخت الباحثة أن تجد تبريرا لهذا «التغير» فتقول:

«يبدو أن التغير الذي طرأ على رأي الشاعر مرهون بالموضوع الذي يتحدث

عنه، والظرف النفسي الذي يمر به. ففي الأبيات الأولى يتحدث عن قضية فلسطين التي يهون في سبيلها المال. أما الثانية فيتناول فيها ظاهرة عامة في المجتمع، وهي أن قيمة الإنسان أصبحت تقاس بمقدار ثرائه»[٩].

وللرد على هذا الكلام نقول:

أولاً:

إن سمة الزهد لدى الشاعر زيد الحرب، سمة لصيقة بشخصيته متجذرة فيها، لا تتغير مع الوقت ولا تتأثر بظرف طارئ.

ولعل الأخت الباحثة لم تفحص الأبيات التي أوردتها، كدليل على كلامها، فحصا يتناسب مع بحثها القيم في مجمله. فالأبيات التي ذكرتها كدليل على تأرجح فكر الشاعر، إنما هي في الحقيقة دليلنا على تمسك الشاعر بمواقفه، ومنها موقفه من المال، وإن ما تراه الدكتورة تناقضا بين القصيدتين إنما نراه تطابقا وتأكيدا يشد بعضه بعضا.

فهو في القصيدة الأولى يعبر عن رأيه الشخصي في المال فيقول[١٠]:

مـــــــا هـمـنـي المـال يـانـاس لـو زاد
الخـــــــيـــــــر عـنـد الـلـه والارزاق وايـد

بينما هو في الثانية يستعرض نظرة الآخرين إلى المادة، ومدى حبهم لها، إلى درجة التملق والنفاق؛ فهم يتملقون صاحب الثروة فيصفونه بما ليس فيه من صفات، فيقول[١١]:

إن كـــان عندك مـــال بيـــصـــيـــر لك كـــار
لَـونِك ســـواد الـليل قـــالـوا قـــمـــرهـا

إذن فالشاعر هنا لا يكتفي باحتقار المال بل يتعمق في زهده فيه حتى لا يكتفي باستصغاره – مقارنة بالقيم والأخلاق – بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيحتقر المنافقين والمتملقين لصاحب الثراء.

وقد أدركت الأخت الباحثة هذه النقطة، حيث قالت: إنه في القصيدة الثانية – قصيدة أجاهد الدنيا – قد تناول ظاهرة عامة في المجتمع، وهي أن قيمة الإنسان أصبحت تقاس بمقدار ثرائه. ولا أدري، بعد أن

أدركت هذه الحقيقة - كيف تحكم على الشاعر بتأرجح الفكر، وتغيير الرأي والتناقض بين قصيدة وأخرى.

ثانيا:

بعد أن حكمت الأخت الباحثة على الشاعر بتأرجح فكره وتغيير رأيه تجاه المادة، تقوم بتبرير ذلك فتقول:

«ربما كان لظهور النفط وتغير أسلوب العيش في الكويت وأثره في نفس الشاعر ما أدى إلى تغير ملموس في بعض آرائه»(١٢).

ونرد على هذه النقطة فنقول:

«كنا نتمنى على الأخت الباحثة أن تقرأ التاريخ المدون في ذيل كل من القصيدتين، إذن لوجدت:

١ - أن القصيدة الثانية، وهي قصيدة «أجاهد الدنيا» التي أدرجتها كمثال على تحول الشاعر من الزهد في المال إلى الإشادة به - قد كتبت في تاريخ سابق على تاريخ كتابة القصيدة الأولى - والتي استشهدت فيها على زهده في المال، فتاريخ الأولى يعود إلى عام ١٩٤٩، بينما هو في الثانية عام ١٩٢٩، ولهذا نقول إن من المنطق أن يتغير المرء في الحاضر عما كان عليه في الماضي وليس العكس.

٢ - إن النفط الذي طرحته الباحثة كسبب في تغير رأي الشاعر. لم يكن قد ظهر بعد في قصيدة يعود تاريخها إلى عام ١٩٢٩. إذن فالنفط بريء من التهمة، وكذلك الشاعر.

ثالثا:

بعد أن استشهدنا بالأبيات ذاتها التي طرحتها الباحثة دليلا على تأرجح فكر الشاعر، بينما استخدمناها دليلا على ثبات رأيه ورسوخ فكره، وكي لا نخرج من دائرة القصيدة موضوع الخلاف، نضع بين يدي القارئ العزيز هذه الأبيات، وهي من القصيدة ذاتها التي اتهم فيها بحب المال يقول:

لا تظن يبقى على الأرض ديار

الموت يفني بورها مع بحرها

هنا يتطرق الشاعر إلى حتمية الفناء، فكل ما هو فوق الأرض مصيره إلى الموت، لكنه يستدرك فيستثني أشياء غير قابلة للزوال ... ما هذه الأشياء التي

تخلد في سجل التاريخ، وتبقى بعد فناء المادة واندثار البشر؟... إنه يحددها بصفات أربع فيقول:

إلا أربع الشـــــايات تبـــــقى على الدار
ومــــســـجل وسط السـجلة خــبـــرها
عــــــــالم عليم نافع كل الأقطار
مــصــفي دينه مــجنب كــدرها
والا كـــــريم مكرم الضــيف والجـــار
نفـــســـه على درب المراجل قـــدرها
والا شـــجاع الضـيق لي صـار ما صار
كم سـرية بحـد سـيفـه قـهـرها
أو شـــاعــر بيطار في نظم الأشــعــار
قـصـــــايده بالطرس كل سطرها

إذن لقد أزاح الشاعر الغبار عن الأشياء التي يراها جوهرية لا تفنى بفناء الجسد ولا تزول بزوال المادة، وحددها بأربع صفات ليس من بينها المال أو صاحب الثروة الذي يندثر باندثار ثروته، وينتهي كما تنتهي البهائم، حيث يسترسل في قصيدته فيقول:

وباقي الملا يسـرح مع الهـوش لي بار
اشلع لسـانه وسـرحـه مع بقـرها
لي عـاد مـا يعـرف مع الجـار والمار
جـعل العـمى يفـضح بعـينه نظرها
ويعل من يبكيـه في قـاعـة النار
له مـسكن بأقـصى مـساكن قـعـرها

إذن ليس هناك أدل على ثبات فكر الشاعر تجاه المادة، من هذه الأبيات التي استخلصناها من القصيدة ذاتها التي ارتأتها الباحثة دليلا على تأرجح فكره، وبررت هذا الأمر - فيما بررته - بتغير الظروف أو بالحالة النفسية التي يمر بها الشاعر! إذ كيف لهذه أو لتلك أن تتغير من بيت إلى بيت في قصيدة واحدة!

مختارات من بعض القصائد التي تدل على زهد الشاعر وقناعته وعزة نفسه:

هناك الكثير من القصائد التي تؤيد ما ذهبنا إليه من زهد الشاعر في المال، والتي سنحاول الإشارة إليها باختصار نظرا لكثرتها من جهة، ولضيق المساحة من جهة أخرى.

يقول في إحدى قصائده، وهي قصيدة قالها في بدايات القضية الفلسطينية، منتقدا فيها الحكام العرب على تقاعسهم تجاه فلسطين، مفسرا هذا التقاعس والتخاذل بجشعهم مشيرا إلى تكالبهم على المال على حساب القضايا العربية الكبرى، فيقول(١٣):

تزعمون أن «جورج» هو سيد البشر
ولدنانير السياسة تركضون

ويسترسل في قصيدته مبينا احتقاره للمال قائلا(١٤):

مقعدي بالعز لو كنت بسقر
جنة الدنيا إهي عندي تكون
وجنة الدنيا في ذل وقهر
ما نبيها لو تخضع بالغصون

فالشاعر هنا يرفض الذل، ويزهد في متاع الدنيا حين يكون مصحوبا بالقهر والإذلال، بينما يرحب بالحرمان حين يكون مصاحبا لعزة النفس والمنزلة الرفيعة.

ويواصل انتقاده للقادة العرب على خضوعهم واستسلامهم للاستعمار في سبيل المادة، فيقول(١٥):

لا شك بعض الناس بالمال مفتون
حرصه على ماله يزيده استعمار
ورجل معه مال وبالذل مسجون
هذاك ثور هور أو - تكرم - حمار

هنا يشبه من يمتلك ثروة طائلة، ويفتقر إلى عزة النفس بالحيوان وفي قصيدة أخرى يقول:

يا مـــفـــالي بعـــمـــرك وللمـــال جـــرار
مـــالك وعـــمـــرك لا تهـــقى يبـــيـــدومي

إذن المال دائما - في عقيدة زيد الحرب - مصيره إلى الزوال.
أما في قصيدته التي امتدح فيها الزعيم العربي «جمال عبدالناصر» بمناسبة تأميم قناة السويس، وانتقد فيها بعض الحكام العرب الذين يكتنزون المال على حساب شعوبهم التي تكاد تموت جوعا وحرمانا من أبسط حقوق الإنسان، فيقول(١٦):

تكنزون المال من حـــــرام وحـــــلال
والشـــعب هلكان مـــا يحـــصل قليل
شـــعـــبكم بالشـــمس وانتم في ظلال
في قـــصـــور عـــاليـــة وغـــرس ظليل

ويربط بين الحب المفرط للمال، وبين مذلة العرب وانتكاساتهم وهزائمهم، فيقول في أبيات أخرى من القصيدة نفسها(١٧):

إن ما نهـــضـــتـــوا يا عـــرب نهـــضـــة رجـــال
بلعـــون مـــا تســـوون دخـــان الســـبـــيـل
وانـا بـريٌ مـنكـم في كـل حـــــــال
مـــــــالي مع الذلان خل ولا خليل
مـــقـــعـــدي بالشـــمس أحـــسـن من يقـــال
التـــجي بالضـــد واقـــول له دخـــيـل

إذن فهو يتبرأ من العرب الذين يرضون بالذل في سبيل المال، فيستثني نفسه من هؤلاء، ويفضل وهج الشمس وشظف العيش على القصور والظلال الوارفة التي تجلب له المذلة والهوان.

وحين يضع مثالا للزعيم الحقيقي، ونموذجا لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم فإنه يختار الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، لماذا ...؟
يقول(١٨):

لي فــــخــــروا الناس في كنز ومـــــال
يفـــتـــخــــر بالطوب والسيف الصقيل
ولي لبـــســوا الناس ملبوس الجمـــال
يلبس النومـــاس والخلق الجميل

إذن فالنموذج الحقيقي للحاكم في رأي الشاعر زيد الحرب، ليس هو من يفتخر بثروته أو قصوره، بل هو ذلك الشخص أو القائد الذي يسعى إلى الدفاع عن أمته، ويستعد لملاقاة العدو ذودا عن حياضها وكرامتها، وهو أيضا الشخص الذي يتحلى بالقيم والأخلاق الراقية.
ويقول في قصيدة رائعة مطلعها(١٩):

يــا طــارشــي ســلــم عــلــى الــليــث رومــي
ود التحـــيـــة صـــوب ســتـــر العـــذارى

هذين البيتين:

ترى العـــمـــر والمال مـــا هـو يدومي
يبـــقى لك التـــاريخ يحـــيي اذكـــاره
ورجل مـــعـــه مـــال ولا هو عـــزومي
بضـــايعـــه تجلب لســـوق الخـــساره

وينهي قصيدته ببيتين يوصي فيهما الفتاة أن تتمسك بقيمها ومبادئها، حتى وإن ضحت بمظهرها الخارجي، وهذا ما يتماشى مع عقيدته التي تصب اهتمامها على جوهر الأشياء ودواخلها، بينما يجد في المظهر الخارجي شيئا ثانويا لا يؤثر في قيمة الأشخاص أو الأشياء حوله.
يقول في ذلك:

يابنت يا اللي شبه ظبي يزومي
لا تلبسين الذل بثياب خاره
ثوب من المرظوف ظافي كمومي
أخير من ثوب الزري وفيه عاره

أما ثوب «خاره» فهو نوع من الثياب غالية الثمن بينما المرظوف رخيص الثمن يلبسه العامة والفقراء، فهو أجمل - في نظر الشاعر - من «الخارة» ومن «الزري» وهو أيضا من الثياب الفاخرة المطرزة بخيوط ذهبية ثمينة، حين يكون ثمن هذه الثياب كرامة المرأة ومكانتها التي تسمو بجوهرها لا بمظهرها.

وفي قصيدة يتناول فيها الأخلاق والمثل العليا، يقول من بين النصائح التي يقدمها في هذا الشأن:

أوصيك عز النفس ان كنت رجال
النفس هي مفتاح خبثك وطيبه
وبالك إطالع حاجة عند الانذال
يحيل دونها طويج لوهي قريبة

إذن الزهد فيما لدى الآخرين، هو الذي يجلب للشخص الرفعة ويحفظ له كرامته التي تفوق في قيمتها المعنوية الأموال والكنوز.

أما في القصيدة التي تكلم فيها عن «القدس»، والتي انتقد من خلالها الشخص الذي يبيع مقدساته في سبيل المال، فيقول فيها:

اخدم خلاصك عندهم واجمع «ابياز»
والثور شيهمه إذا بات مقهور

و «الابياز» هي في اللهجة الشعبية تعني «النقود» التي يتكالب في جمعها بعض المسؤولين؛ مضحين بمقدساتهم بل بإنسانيتهم، فقد جعلهم الشاعر زيد الحرب في مرتبة «الحيوان» الذي لا كرامة له.

ولعل من أجمل ما قال في هذا السياق، قصيدة يتحدث فيها عن أسرته

الصغيرة، ويصف فيها سعادته بين زوجته وطفلتيه، فيقول:

ألتـــفت عن يميني وعن شـــمـــالي
وردتين من المهـــرة العـــفـــيـــفـــة
شـــوف «دســمـــان» وغـــيـــره مـــاطرالي
عن قـــعـــدة «الكشك» تغنينا الصـــريفـــة
لـي حـــضـــرنا حكمنا مـــا نبـــالي
حكم «ديلي» في دار الخليـــفـــة (٢٠)

إذن يجد الشاعر سعادته في بساطة الحياة وصدقها، ويشبه منزله المتواضع بالعشة الصغيرة (الصريفة) التي تفوق في جمالها ورونقها - في رأيه - القصور السامقة، والتي يستغني بها عن «قعدة الكشك»، أي الجلوس في شرفة ضخمة تطل على الساحات الواسعة أو الحدائق الوارفة.

ويعتبر بيته الصغير هذا مملكة يشاركه في إدارتها زوجته وابنتاه بإرادة مطلقة ليس للآخرين سبيل إلى التدخل في شؤونها.

ذكرنا لاحقا بعض الأمثلة التي استخلصناها من ديوان الشاعر زيد الحرب، وهي قليل من كثير، وكلها تؤكد ثبات موقفه من المال وتصور مدى زهده فيه، خاصة حين يكون متعارضا مع قيمه ومبادئه وكرامته.

ويكفي أن نقول إن سيرة حياة هذا الرجل دليل قاطع على صحة ما ذهبنا إليه، وما أكده أصدقاؤه ومعارفه وجيرانه، وما استخلصناه من قصائده، بالإضافة إلى ما درجنا عليه من سنوات طوال عشناها في كنفه، فلو لم يكن الشاعر زيد الحرب بهذه الصفات لما سار عكس التيار، في الاتجاه الذي يرضي ضميره، مناديا بالعدل والحرية والمساواة، وتصحيح الأوضاع.

وقد تحمل في سبيل ذلك الكثير من المضايقات - ليست من الجهاز الرسمي - بل من المنتفعين والمنافقين، وذلك بسبب ثبات مبدئه وعدم قبوله للمساومة، أو لما يسميه البعض مجاملة، بينما يسميه زيد الحرب نفاقا. ولقد امتدح أشخاصا لا يرتجي من ورائهم مصلحة خاصة، بل لقناعته بهم كمسؤولين يعملون من أجل مصلحة الأمة وكرامتها.

أما على الصعيد الرسمي للدولة، فنحمد الله على أننا نعيش في دولة حرة

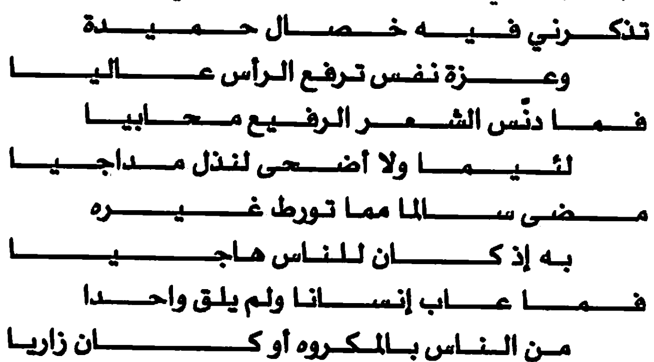
تحترم الكلمة، وتسمح للرأي الآخر أن يتصاعد في سمائها المشمسة.

ويبقى أن نقول أن ليس كل ما ذكرناه من أمثلة وما استشهدنا به من قصائد من قبيل الرد على الدكتورة حصة، وإلا لاكتفينا بجزء يسير منه، ولكنه شهادة على رجل عرفناه حق المعرفة، كما وجدنا في قصائده من الزهد والقناعة، ما دفعنا إلى الاسترسال في هذا الجانب - الذي يحتاج إلى دراسة خاصة - فتداعت الأمثلة - وحضرت الشواهد.

أما ما ورد في بحث الدكتورة في هذا الشأن، فأنا لا أعتبره نقصا أو قصورا، بل كبوة فارس لا تؤثر في مجرى البحث الذي أراه قيما... جميلا... عميقا في مجمله، والذي أشكر للأخت الباحثة جهدها في سبيل إنجازه، كما أتوقع أن يضيف إلى مكتبة الدراسات المتعلقة بالشعر الكويتي وبالتراث رصيدا جديدا.

كما أشكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب تشجيعه للبحوث والدراسات المتعلقة برجالات الكويت وأعلامها.

واسمحوا لي أن أنهي مقالتي بهذه الأبيات، وهي من قصيدة كتبها الشاعر المرحوم «عبداللطيف ديين» يرثي فيها صديقه الشاعر زيد الحرب، والتي نشرت في مجلة البيان في عددها الخامس والسبعين في يونيه عام ١٩٧٢:



تذكرني فيه خصال حميدة
وعزة نفس ترفع الرأس عاليا
فما دنّس الشعر الرفيع محابيا
لئيما ولا أضحى لنذل مداجيا
مضى سالما مما تورط غيره
به إذ كان للناس هاجيا
فما عاب إنسانا ولم يلق واحدا
من الناس بالمكروه أو كان زاريا

رحم الله الشاعر زيد الحرب والشاعر عبداللطيف ديين وكل رجالات الكويت الذين سبقونا إلى دار البقاء.



1. ديوان زيد الحرب، ص١٧٠.
2. ديوان زيد الحرب، ص١٢٤.
3. النحاس: هو مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر آنذاك.
4. ديوان زيد الحرب، ص١٢٨.
5. آيزنهاور: دوايت آيزنهاور: رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت.
6. إيدن: أنتوني إيدن: رئيس وزراء بريطانيا آنذاك.
7. الدنبك: آلة موسيقية.
8. ديوان الشاعر زيد الحرب.
9. «منارة زيد الحرب والعزف على أوتار الأمة»، للدكتورة حصة الرفاعي، ص٢٣.
10. ديوان الشاعر زيد الحرب، ص١١٨.
11. ديوان الشاعر زيد الحرب، ص١٩٩.
12. «منارة زيد الحرب والعزف على أوتار الأمة»، ص٢٣.
13. ديوان زيد الحرب، ص١١٦.
14. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
15. ديوان زيد الحرب، ص١٢٩.
16. ديوان زيد الحرب، ص١٤٢.
17. ديوان زيد الحرب، ص١٣٢.
18. ديوان الشاعر زيد الحرب، ص١٣٠.
19. ديوان الشاعر زيد الحرب، ص١٧٣.
20. (ديلي): هو الحاكم العسكري البريطاني في البحرين في ذلك الوقت.

* مجلة «البيان» عدد ٧٥ يونيو ١٩٧٢.

- ديوان زيد الحرب ص٢٧٧.